الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن العدوى
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الأسوة الحسنة

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله
كثيراً﴾

﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا
عنه وأعدلهم جنات تجرى تحتها الأنهار
خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم»
صدق الله العظيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الأسوة الحسنة والرحمة المهداة والسراج المنير الذى أنقذ الله به الأمة وأزال به الغمة وأكمل به الدين وأتم به النعمة، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته والتابعين الذين ساروا على نهجه واتخذوه قدوتهم ونور حياتهم فاهتدوا به إلى صراط الله المستقيم وكانوا أئمة فى الدين والخلق والعلم والعمل. وبعد

فإن المسلم يجد فى هذا الكتيب عددا من تصرفات الرسول وصحبه وكيف كانوا تطبيقا أمينا لتعاليم الله وهدايته، فلم يكن فى عهدهم ذلك الانفصال الذى نشاهده فى حياتنا بين القول والعمل بل كانت أعمالهم مطابقة لأقوالهم التى هى تعبير عن المنهج الذى آمنوا به ووهبوا حياتهم له.

وما أحوجنا فى هذه الأيام التى عز فيها القدوة والأسوة وشغلت الناس بماديات حياتهم الدنيا -إلى أن نستحضر أمام أبصارنا وبصائرنا هذه المواقف المضيئة، وهذه المثل العالية التى صاغها الإسلام صياغة بهرت العالمين وصارت قدوة للمؤمنين الصادقين.

لعلنا حين نقدم هذه النماذج الخيرة نكون قد ساعدنا على تغيير سلوك أفرادنا وجماعتنا إلى ما هو خير وأبقى، وهذا ما نرجوه من الله ونسأله أن يجعله فى موازين أعمالنا الصالحة وأن ينفع به المسلمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د. عبد الرحمن العدوى

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

غرة ربيع الأول ١٤٢٠ هـ يولية ١٩٩٩م

رقم الايداع : ٩٩/١٧١٤٥

الترقيم الدولى : .I.S.B.N
977-315-033-X

زهـد رســول الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه،، أما بعد

فقد بعث الله نبيه محمدا ﷺ رحمة للعالمين مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وكان قومه يعبدون الأوثان ويقربون لها القرابين وقد أوغلوا فى تكذيبه وإيذائه، ورموه -زورا وبهتانا- بكل منقصة ومذمة فقالوا شاعر وكاهن وكذاب وغير ذلك من الأوصاف التى أهانوه بها ﷺ وكان القوم من عادتهم أن يعظموا أصحاب الغنى والثراء فيهم وأن يقيسوا أقدار الرجال بما يملكون من زينة الحياة الدنيا، ولم يكن ﷺ من هؤلاء الذين تشغلهم دنياهم والذين يستكثرون من خيراتها وشهواتها بل كان زاهدا فى ذلك كله مقبلا على تبليغ الرسالة التى كلفه الله بها، وكان قومه يرون بجهلهم أن إكرام الله لرسوله لا يكون إلا بمقدار ما يعطيه من جنات النخيل والأعناب وما يملّكه من كنوز الذهب والفضة تأييدا للرسالة التى يدعوهم إليها وكانوا يرون -بجهلهم- أن فقد رسول الله لمثل هذه الثروات يقوم دليلا على عدم صدقه فيما يدعو إليه، ودليلا على أن الله لم يبعثه رسولا ، ولو كان الله اصطفاه لأعطاه وأعطاه. وظهر ذلك في أقوالهم التى حكاها القرآن عنهم: «وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا، أو يلقى إليه كنز أو تكونُ له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا، أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا».

« وقالوا لن نُؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا »

لم يدر هؤلاء الذين غرتهم زينة الحياة الدنيا أنه ﷺ كان زهده فى الدنيا زهد القادرين على أن يكون له منها ما يريد لو أراد، وأنه اختار أن يكون مع المساكين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه، فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: « عَرض على ربى عز وجل ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » أو كما قال.

وقد صّدقت أفعاله ومعيشته ﷺ هذا القول، فقد فتح الله عليه كنوز الدنيا وكثرت الغنائم بين يديه فما أخذ منها شيئا، وقد فرض الله له خمس الغنائم لكنه كان يوزعه على المسلمين ويرضى بعيش الكفاف فى بيوته حتى إن السيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ تصف معيشة النبى وأزواجه وتقول: « كان يمر علينا الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة ما يوقد فى بيت رسول الله ﷺ نار، قال عروة: وما كان طعامكم يا خالة؟ قالت: الأسودان التمر والماء، ولما كثرت الغنائم وجد أزواجه أن من حقهن أن يكون لهن نصيب من رغد العيش فسألنه النفقة فغضب منهن واعتزلهن شهرا ونزل قول الله تعالى بتخييرهن بين حياة الزهد التى اختارها

رسول الله ﷺ وبين أن يفارقهن رسول الله وذلك قول الله تعالى : « يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما »

واخترن الله ورسوله والدار الآخرة ورضين بالزهد فى زينة الدنيا ، زهد القادرين وليس زهد المحرومين العاجزين .

الرسول يحرص على سلامة النفوس

الحمد والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد

فإن الرسول ﷺ قد بلغ القمة العليا فى مكارم الأخلاق وقد امتدحه الله تعالى بقوله: «وإنك لعلى خلق عظيم» وهى شهادة من الله تعالى لنبيه ﷺ بعظمة أخلاقه، وقد بعثه الله تعالى معلما للإنسانية كلها فإن رسالته عامة لخلق الله جميعا «قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا»، ومما علمه الرسول للناس حسن الخلق والمحافظة على العلاقات بين الأفراد سليمة من كل شوائب الكراهية أو الحقد أو الغضب الذى يبعثه تأثر النفس وانفعالها لسبب ترى أن فيه اساءة إليها.

وفى حرص رسول الله ﷺ على سلامة نفوس الناس بعضهم مع بعض نجده يعالج كل الأسباب التى قد تدعو إلى نفور الناس من بعضهم أو تشككهم فى علاقاتهم فيقول ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث»، وهو بذلك يعالج موقفا قد يحدث من بعض الناس دون انتباه لما يتركه هذا الموقف من الحزن أو الشك أو الهواجس فى نفس رفيقهما الذى تركاه وتحدثا بعيدا عنه فى سرية لا يسمع ما يقال فيها.

ومن تعاليم رسول الله ﷺ الداعية إلى المحافظة على سلامة نفوس الناس بعضهم مع بعض، وإبعاد عوامل الكراهية والضغينة عن علاقاتهم نجده ينهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له، فإن الإنسان إذا تقدم لخطبة فتاة وأظهر لأهلها الرغبة فى الزواج بها وكان منهم قبول وميل إلى إتمام هذا الاقتران، فإنه لا يجوز لشخص اخر

يعلم بهذا الأمر أن يسارع قبل إتمامه ويخطب هذه الفتاة مزاحما الخاطب الأول، وقد يكون فيه ميزات تجعل أهل الفتاة ينقضون وعدهم للأول ويرغبون فى الخاطب الثانى.

هذا العمل وهو الخطبة على خطبة أخيه -مما يبعث الضغينة فى النفوس ويؤدى إلى العدواة والخصومة وقد تزداد العلاقة بينهما سوءا فيحدث من المآسى مالا تحمد عقباه، ولذلك جاء نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطب المرء على خطبة أخيه إلا إذا ترك الخاطب الأول وعدل عن رغبته فى الاقتران أو أذن للثانى فى أن يتقدم إليها، وهذا الأذن دليل الرضا فحينئذ يجوز للثانى أن يتقدم دون خوف من حدوث العواقب السيئة.

ومثل ذلك نهيه ﷺ من أن يبيع الرجل علي بيع أخيه أو يشترى على شراء أخيه، وذلك يحدث من بعض الناس دون نظر إلى العواقب السيئة التى تترتب على هذا العمل، فبعدما يتفق البائع مع المشترى على ثمن سلعة معينة ويتراضيان على ذلك يتدخل بائع آخر ويقول للمشترى أنا أبيعك هذه السلعة بثمن أقل مما اتفقتما عليه، وهذا هو البيع على بيع أخيه.

أما الشراء على شراء أخيه فصورته أن يتفق المشترى على شراء سلعة معينة بثمن معين فيتدخل شخص آخر ويقول للبائع أنا اشتريها منك بثمن أكثر ويفسد على المشترى الأول صفقته.

وفى كلتا الحالتين يحدث النزاع والشقاق وغضب النفوس، ولذلك جاء الإسلام بمكارم الأخلاق يعلم الناس كيف يحافظون على سلامة نفوسهم وحسن علاقاتهم حتى تكون حياتهم سعيدة هنيئة آمنة من كل سوء.

ثبات الرسول في الموقف العصيب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه .أما بعد

ففى شهر رمضان من السنة الثامنة من الهجرة تم فتح مكة ونصر الله المسلمين بغير قتال إلا مناوشات يسيرة، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

غير أن قبائل هوازن وثقيف ومن معهم كبُر عليهم أن يتم النصر للمسلمين في فتح مكة بهذه السرعة الفائقة وقرروا محاربة المسلمين وأعطوا القيادة العامة لمالك بن عوف النضرى، وساق مالك مع الجيش أموالهم ونساءهم وأولادهم حتى يقاتل كل رجل عن أهله وماله ويكون ذلك من عوامل الاستبسال والحمية .

ولما علم بذلك رسول الله ﷺ خرج بجيش المسلمين لملاقاة هذه القبائل التي تجمعت على عداوة الإسلام وأهله وكان خروجه فى السادس من شهر شوال سنة ثمان من الهجرة وكان قوام الجيش اثنى عشر ألف مقاتل وهو عدد لم يجتمع للمسلمين قبل ذلك حتى قال بعضهم معجبا بكثرة العدد : (لن نُهْزم اليوم من قلة) .

وصل جيش المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ إلى وادى حنين فى العاشر من شهر شوال وكان مالك بن عوف قد سبقهم إليه ووزع فيه أكثر من كمين فى الطرق والمداخل والشعاب وأمرهم أن يرشُقوا المسلمين بالنبال أول ما يظهرون ويشدوا عليهم شدة رجل واحد، وقد حدث ذلك فعلا وفوجىء المسلمون بما لم يكونوا يحتسبونه واضطربت صفوفهم وولّوا

مُدبرين كما حدّث عنهم القرآن الكريم فى قول الله تعالى : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين» .

ولكن رسول الله ﷺ ثبت فى هذا الموقف العصيب، وانحاز إلى اليمين على بغلته البيضاء وهو يقول : هلموا إليّ أيها الناس، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبدالله، وصار يدفع بغلته تجاه العدو والعباس آخذ بلجامها يكفّها والرسول يقول : أنا النبى لا كذب   أنا ابن عبدالمطلب .

ولم يكن حول النبى إذ ذاك إلا نفر قليل من المهاجرين وأهل بيته، وأمر رسول الله ﷺ العباس وكان جهير الصوت أن ينادى الصحابة، فنادى العباس بأعلى صوته، أين أصحاب السمرة؟ ثم نادى الأنصار . فما سمع أحد منهم الصوت إلا وانعطف آخذا طريقه إليه قائلاً لبيك يا لبيك وكان الرجل إذا صعب عليه أن يُثنى بعيره يتركه ويترجل عنه ويأخذ درعه وسيفه وترسه ويثب نحو الصوت وثبا وقد خلى بعيره، حتى إذا اجتمع إليه مائة استقبلوا الناس واقتتلوا، وتلاحقت كتائب المسلمين واحدة تلو الأخرى كما تركوا الموقعة وتجالد الفريقان وحمى الوطيس وأخذ رسول الله ﷺ حفنة من تراب فرمى بها فى وجوه القوم وقال « شاهت الوجوه» وما هى إلا ساعات قلائل حتى هزم العدو هزيمة منكرة، وكان ثبات رسول الله ﷺ العامل الأكبر فى تحويل الهزيمة إلى نصر مؤزر كريم وسجل القرآن الكريم هذا الموقف فى قول الله تعالى : « ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنودا لم تروها، وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين» .

إنها مشاعل النور في مواكب الجهاد يعتز بها المسلمون ويقتدون .

مشاورة الرسول أصحابه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن الله تعالى أمر رسوله محمدا ﷺ بمشاورة أصحابه فى أمور السلم والحرب وفى كل ما ليس فيه أمر إلهى معين، فقال جل شأنه، «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر» وقد استجاب رسول الله ﷺ لأمر ربه وشاور أصحابه فى أمور كثيرة، ففى غزوة بدر بعدما أفلتت عير قريش بقيادة أبى سفيان من قبضة المسلمين وبعدما وصل جيش أهل مكة إلى بدر وظهر الموقف الحرج بالنسبة للمسلمين فقد كان خروجهم من المدينة لملاقاة قافلة تجارية يحرسها أربعون رجلا ولم يكن يدور بخلدهم أنهم سيلقون جيشا كثير العدد قوى العدة، والحال أن المسلمين لم يستعدوا للقتال ولم يأخذوا له أهبته.

فى هذا الموقف استشار رسول الله ﷺ أصحابه ليعرف رأيهم وليكون قتال المشركين فى هذه الظروف التى لم يتهيأ المسلمون للقتال فيها مؤيدا من رؤساء المقاتلين، فإن اتفاق الكلمة على أمر من الأمور أدعى إلى النجاح فيه.

قام أبو بكر وعمر –رضى الله عنهما– فقالا وأحسنا ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك، كما قال بنو إسرائيل لموسى: «إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا

قاعدون» ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.. فقال له رسول الله خيرا ودعا له.

ولما كان المتحدثون الثلاثة من قادة المهاجرين، فقد أحب رسول الله ﷺ أن يعرف رأى قادة الانصار، فالتفت نحوهم وقال: «أشيروا على أيها الناس» وفطن إلى ذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد بن معاذ فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ فقال: أجل. فقال سعد: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر فى الحرب صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله.

فسر رسول الله ﷺ وسلم لقول سعد، واكتمل رأى المهاجرين والانصار على كلمة سواء، ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم».

ودخل المسلمون المعركة يقاتلون المشركين الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله، وكتب الله النصر للمسلمين مع قلة عددهم وضآلة عدتهم. نصر الله الحق على الباطل، والهدى على الضلالة، والإيمان على الكفر فى غزوة بدر الكبرى وحفظ المسلمون من دروسها الاقتداء برسول الله ﷺ فى مشاورة أصحابه والاستماع إلى

رأيهم، وفى حرصه على معرفة كل الآراء، لا يكتفى برأى فريق دون غيره،
وحفظ المسلمون من الدروس كذلك حسن الاستجابة لله وللرسول،
وحسن موقف الصحابة مع رسول الله ﷺ ومؤازرتهم له، والتفافهم حول
قيادته، وإخلاصهم فى نصرة دين الله، وقوة عزيمتهم فى مواجهة العدوان
وتلك ركائز النصر التى يجب الحرص عليها فى كل زمان، ولنا فيهم أسوة
حسنة وقدوة طيبة «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز».

الرفق فى القيادة والتوجيه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن رسول الله ﷺ كان يدعو أصحابه إلى أن يعالجوا الأمور بالرفق وأن يبتعدوا عن الغلظة والعنف، وكان يقول لهم فى نصائحه الغالية: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله» ويقول: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» وكان ﷺ رفيقا بالأمة يحب التيسير ويكره التشديد وينهى عن المبالغة فى العبادة إلى درجة المشقة، وينصح من يوليهم أمرا من الأمور بالرفق والتيسير فيقول لهم: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا».

ودعوة الرسول إلى الرفق والتيسير تتوافق مع ما أراده الله لعباده وهو الرحيم بهم، فالله تعالى يقول: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر». ويقول سبحانه وتعالى: «يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا».

وكان رسول الله ﷺ مضرب المثل والقدوة الحسنة فى معالجة الأمور بالرفق واللين، حتى فى المواقف التى يرى البعض أنها تستحق إنزال العقاب بفاعلها. فإننا نجد رفق رسول الله ﷺ واضحا فى معاملة الذين تركوا مواقعهم فى غزوة أحد وكانوا سببا فى الهزيمة بعدما لاحت بشائر النصر، فما عاقبهم رسول الله وما حاسبهم على مخالفتهم فقد كان الدرس قاسيا بنتائجه التى ساءت كل المسلمين، وعفا عنهم رسول الله ﷺ استجابة لأمر ربه الذى قال له: «فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر» ولقد

عفا عن الذين آذوه واضطهدوه وآذوا أصحابه ونكلوا بهم، فحين نصره الله عليهم وأمكنه من رقابهم قال: «ما تظنون أنى فاعل بكم» قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال« «اذهبوا فأنتم الطلقاء». وعن أبى هريرة أن أعرابيا بال فى المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبى ﷺ : «دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

وعلم رسول الله ﷺ الأعرابى فى رفق أن المساجد لا تصلح لشىء مما فعل، فكان القدوة والأسوة الحسنة والمثل الذى يجب أن يحتذى به كل من يتصدى لدعوة الناس ونصحهم وتعليمهم شعائر الدين وأوامره، وكل من يتولى قيادة للمسلمين.

«الشورى فريضة إسلامية»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد،

فإن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يشاور أصحابه فى الأمور التى لم ينزل فيها وحى من الله تعالى، فقال جل شأنه «وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين» وامتدح الله المؤمنين الذين يتشاورون فى أمورهم التى تحتاج إلى التفكير وتقليب الآراء حتى تتضح الأبعاد والآثار المترتبة على التصرف والاختيار، وحتى يكون الحكم -بعد المشاورة- أقرب إلى الصواب وأدعى إلى القبول والاستجابة فإنه ليس رأيا لفرد حتى يكون الخطأ قريبا منه، ولكنه رأى استقر بعد مشاورة وتدقيق وتمحيص فيكون الصواب حليفه، والنتائج الطيبة غالبة فيه.

وفى امتداح الله تعالى للذين يتشاورون فى أمورهم وصفهم بأنهم استجابوا لربهم فى أداء ما أمرهم به من إقامة الصلاة ومن التشاور فيما بينهم ومن الإنفاق الطيب فى سبيل الله فيقول جل شأنه: «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون» ولا يفوتنا عند تلاوة هذه الآية الكريمة أن نفطن إلى أن الله وضع الشورى بين عبادتين أساسيتين فى الإسلام وهما الصلاة والزكاة وذلك ينبئ كل ذى بصر بمكانة الشورى فى الإسلام وأنها ليست نافلة يمكن أن يتهاون فيها بعض الذين يظنون أنهم قادرون على التفكير وحدهم، وأنها فريضة إسلامية كالصلاة والزكاة.

وقد كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه استجابة لأمر ربه، وكان ينزل على رأيهم إذا رأى وجه الصواب فيه، وكان الصحابة يعرفون متى يبدون رأيهم ومتى يقولون سمعنا وأطعنا، نرى ذلك فى سؤالهم رسول الله ﷺ قبل أن يبدوا رأيهم. ففى غزوة بدر نزل رسول الله ﷺ بجيش المسلمين منزلا عسكر فيه فسأله الحباب بن المنذر قال: يا رسول الله ﷺ أهذا المنزل أنزلكم الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأى والحرب والمكيدة. قال يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، وأشار عليه بموضع آخر وافقه عليه رسول الله ﷺ وقال: لقد أشرت بالرأى. هكذا عرف الصحابى متى يجوز له أن يبدى رأيه وأن الاجتهاد والمشاورة يكونان فيما لا نص فيه من أمر أو نهى. وهكذا قبل الرسول مشورته وأثنى عليه. وللمؤمنين فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

خديجة تختار زوجها وتناصره

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، أما بعد،

فقد كانت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ قدوة طيبة فى رجاحة عقلها، وحسن تقديرها للمواقف، وصدق إحساسها، وجميل معاشرتها لزوجها، وقوة مؤازرته فيما كلفه الله به من الدعوة إلى الإسلام.

ولسنا نوفيها حقها، أو بعض حقها فى الحديث عنها فى عجالة، لا تكاد تكفى الحديث عن أحد مواقفها العظيمة الرائعة، ولكنا نذكر طرفا من فضائلها يكون حافزا للاقتداء بها والسعى إلى معرفة سيرتها رضى الله عنها.

لقد ظهرت رجاحة عقل خديجة وحسن تقديرها للأمور حين اختارت محمد بن عبدالله ليتاجر لها فى مالها، وكان اختيارها إياه لما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه، وحسن معاملته مع الناس.

وخرج محمد الصادق الأمين إلى الشام متاجرا فى مال خديجة وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ورافقه غلامها ميسرة. ولما رجع إلى مكة ورأت خديجة فى مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى من أخلاق رسول الله ﷺ من شمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين، عرفت خديجة أنها وجدت أمل حياتها الذى تتمناه، وكانت ترفض السادات والرؤساء الذين يحرصون

على الزواج منها فتأبى عليهم ذلك، فتحدثت بما فى نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منية. وهذه ذهبت إلى محمد ﷺ تعرض عليه رغبة خديجة فرضى بذلك، وكلم أعمامه فذهبوا إلى عم خديجة وخطبوها منه، وألقى عمه أبوطالب خطبة بين يدى عقد الزواج قال فيها: إن محمدا أمين لايوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا، وإن كان فى المال قل، فإنما المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك...». لقد كانت كلمات أبى طالب عم النبى معبرة أصدق تعبير عن الخصائص التى من أجلها رغبت خديجة -التى رفضت سادات قومها- فى أن تتزوج بمحمد الذى لا يملك كثيرا من المال وليس من أهل الرئاسة والجاه، وإنما اختارته لما تميز به عن فتيان قومه ورجالهم من السجايا الكريمة والأخلاق الحميدة التى لا يقدرها إلا ذوو العقول الراجحة والنظرة الصائبة فى الاختيار لبناتهم عند تزويجهن.. وكانت خديجة فى هذا الاختيار موفقة كل التوفيق وقد شهدت حياتها الزوجية مع رسول الله ﷺ شهادة صدق على هذا التوفيق، وكانت بذلك أسوة طيبة وقدوة حسنة يقتدى بها فى مثل هذا الاختيار.

وقد حث الرسول ﷺ على ذلك فقال مخاطبا أولياء النساء: «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير».

وموقف آخر كانت فيه خديجة نعم الزوج الحانى الرءوف، ونعم رفيق العمر الحبيب الذى يعين على الحق ويناصر مكارم الأخلاق ويشيد بالفضل لأهله، ويقيم الحجة على نصر الله لأوليائه، يظهر ذلك فى موقفها عندما

جاءها زوجها محمد ﷺ يرجف فؤاده بعدما نزل عليه الوحى فى غار حراء وهو يقول لها: لقد خشيت على نفسى. فقالت: خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، وكانت خديجة أول من آمن برسول الله ﷺ وقدظهرت رجاحة عقلها ورباطة جأشها وثقتها فى مكارم أخلاق زوجها فيما نطقت به من عبارات أعادت الهدوء إلى نفس رسول الله ﷺ .

رضى الله عن خديجة أم المؤمنين لقد كانت فى كل مواقفها أسوة حسنة للنساء وللرجال على سواء وظل رسول الله ﷺ وفيا لها بعد موتها ذاكرا مواقفها ومؤازرتها له بكل خير وثناء.

مهاجرة تحتمل العذاب فى سبيل الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد،

فلم يكن النساء المسلمات السابقات إلى الإسلام أقل جلدا واحتمالا لما قاساه المسلمون من إيذاء قريش وبطشهم بكل من دخل إلى هذا الدين الجديد، الذى سفه أحلامهم وعاب آلهتهم وأصنامهم ودعاهم إلى عبادة الإله الواحد وهم له معاندون كارهون.. وكان ممن يضرب بهن المثل فى الصبر وتحمل الأذى، وفى قوة الإيمان والثبات عليه، تلك المهاجرة مع زوجها إلى الحبشة فرارا بدينها مع المهاجرين الأوائل، ثم عادت الأسرة إلى مكة وحان موعد الهجرة إلى المدينة وأعدت عدتها لتنفيذ ما أمر به رسول الله ﷺ أصحابه من الهجرة إلى المدينة إذ قال لهم: «إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها» وظنت أنها ستخرج مع زوجها وطفلها الصغير مهاجرة فى أمان، وما كانت تدرى أن محنة قاسية وعذابا وفراقا أليما ينتظرها فى مكة قبل أن تتمكن من الخروج منها، وكان اختبارا شديدا لإيمانها وعزمها وصبرها حتى جاء الفرج وأزال الله كربها وأتم لها هجرتها ولقاءها بالزوج، الذى سبقها بسنة كاملة أو تزيد: تلكم المهاجرة الصابرة هى هند بنت أبى أمية بن المغيرة القرشية المخزومية المكناة بأم سلمة.. وقد حدثت عن محنتها فى هجرتها بما يفيد أن أهلها من بنى المغيرة نزعوا خطام البعير من يد زوجها وأخذوها منه مانعين هجرتها معه، فجاء أهل زوجها وانتزعوا ابنها «سلمة» منها بعد شد وجذب أدى إلى خلع يده، وسافر زوجها، وأصبحت بمكة بعيدة عن زوجها المهاجر الحبيب وعن

ولدها الصغير فلذة كبدها، وهى عاجزة عن دفع هذا الظلم الذى نزل بها، فما تملك إلا أن تخرج كل غداة إلى الأبطح وتجلس تبكى حتى تمسى، سنة أو قريبا منها، حتى رآها رجل من بنى عمها فرق قلبه لها ورحمها، وقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وابنها ومازال بهم حتى قالوا: الحقى بزوجك. ورد عليها أهل الزوج ابنها سلمة وخرجت وحيدة على راحلتها تقصد المدينة وتريد اللحاق بزوجها، وعلى بعد خمسة كيلومترات من مكة عند التنعيم رآها عثمان بن أبى طلحة وهو على دين قومه فسألها عن وجهتها ومن معها؟ فلما أخبرته بأنها تقصد المدينة وحدها، قال والله لا أتركك، ورافقها حتى أوصلها إلى قرية بنى عمرو بن عوف وفيها زوجها وكان خير رفيق أمين وقد هداه الله إلى الإسلام فى هدنة الحديبية. ونعمت أم سلمة بلقاء زوجها وحضانة ولدها بعد هذا العذاب الذى احتملته فى صبر وإيمان قوى فكانت بذلك صاحبة الهجرتين ثم صارت فيما بعد من أمهات المؤمنين.

صحابية تقاتل بين يدى الرسول

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد

فإن تاريخ النساء فى صدر الإسلام فيه من النماذج المضيئة ما ينير السبل أمام الراغبات فى تحقيق الخير لأمتهن ولأنفسهن فى الدنيا والآخرة، وما يضرب أروع الأمثال فى الجهاد والتضحية وصدق العقيدة وحب الله ورسوله.

من هذه النماذج التى يفخر بها تاريخ النساء «نسيبة بنت كعب الأنصارية» ولقبها «أم عمارة» من بنى النجار، ذات صلاح ودين، ومن أوائل المسلمات، فقد كانت إحدى اثنتين فى وفد الأنصار الذى بايع رسول الله ﷺ فى البيعة الثانية للعقبة، فصارت بذلك إحدى المبايعات فى هذا الوفد على السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وألا تخشى فى الله لومة لائم، وقد قامت بذلك خير قيام حين عادت إلى المدينة المنورة وجعلت تبشر بالإسلام فى صفوف النساء وقد ساعدت بذلك على خلق الجو الإسلامى الذى جعل المسلمين من أهل مكة يطمئنون بالهجرة إليه ويؤملون خيرا.

وكانت «أم عمارة» محاربة شجاعة، فقد استأذنت رسول الله ﷺ فى الخروج للقتال فى غزوة أحد مع زوجها وابنيها فأذن لها.. وحين اشتد القتال وانهزم المشركون أول الأمر، ترك الرماة أماكنهم على الجبل مخالفين بذلك أمر رسول الله ﷺ، وانتهز خالد بن الوليد هذا الوضع الجديد، وكان على خيل المشركين فالتف بالفرسان حول الجبل وفاجأ المسلمين من الخلف واستؤنف القتال واضطربت صفوف المسلمين، واستشهد منهم عدد كبير، وطمع المشركون فى الوصول إلى رسول الله ﷺ، وهنا ظهرت

شجاعة وبسالة وقوة إيمان «أم عمارة» فقد ثبتت مع زوجها وابنيها وتناولت سيفها واحتملت قوسها وصارت تدافع مع الثابتين حول رسول الله ﷺ وفيهم أبوبكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والعباس وولداها وزوجها، وظلت تقاتل وتتلقى الطعنات بصدرها وكتفها دون أن تفارق مكانها، وقد قال فيها الرسول ﷺ: «ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دونى». وكان يشجعها الرسول بكلمات حانية مقدرة فيقول لها: «ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة». كانت تقاتل دون أن تحمل ترسا يحميها، وبينما أحد الرجال موليا بترسه صاح به النبى ﷺ: ألق بترسك إلى من تقاتل.. ففعل وأخذت أم عمارة الترس وقد ظلت تقاتل وتفتدى الرسول حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا وتدفق الدم من جروحها، فصاح النبى بابنها: «أمك.. أمك، اعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت».

ولما سمعت «أم عمارة» هذا الثناء قالت للرسول ﷺ: «ادع الله لنا أن نرافقك فى الجنة» فقال الرسول ﷺ: «اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة». قالت أم عمارة: ما أبالى ما أصابنى من الدنيا بعد هذا الدعاء، وانتهت المعركة، وعانت أم عمارة من طعنة على عاتقها مدة سنة كاملة ثم عافاها الله، وشهدت مع الرسول بيعة الرضوان، ثم شهدت مع خالد بن الوليد قتال مسيلمة الكذاب بعد أن أذن لها أبوبكر بالخروج مع جيش المؤمنين المقاتلين.

وعرف كبار الصحابة لأم عمارة قدرها وجهادها وبلاءها فكانت لها منزلة مميزة لديهم وكان أبوبكر وهو خليفة المسلمين يزورها فى بيتها ويسأل عن أحوالها ويوفيها حقها.

سلام الله على نسيبة بنت كعب الأنصارية «أم عمارة» فى السابقين المجاهدين وجعل سيرتها نورا لبنات ونساء المسلمين.

مرحباً بالراكب المهاجر

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد،

فنتحدث عن فارس من صناديد قريش وأبطالها، وسادتها وأشرافها، استمر عناده للإسلام وحربه لرسول الله والمؤمنين، وكان مع قومه فى كل معركة يهاجمون فيها المسلمين، كان معهم فى بدر وفى أحد وفى الأحزاب وكان معهم فى تأليب القبائل ضد الإسلام والتحالف مع أعداء الإسلام من اليهود وأمراء قيصر فى الشام، كان شغله الشاغل أن يقضى على هذا الدين، الذى جاء به محمد يسفه أحلامهم، ويحقر آلهتهم، وأصنامهم، ويدعو به الناس إلى عبادة إله واحد له كل صفات الجلال والكمال والقدرة والعلم وهو مالك السموات والأرض، وما بينهما . . ولكن هذا القلب المغلق لم يصل إليه شعاع من نور هذا الحق الساطع وظل على شركه وكفره وعداوته وعناده، وقد أخذ هذا العناد عن أبيه الذى قال فيه رسول الله إنه فرعون هذه الأمة . . ونصر الله دينه، وفتح على رسوله وعلى المؤمنين مكة المكرمة التى أخرجوا منها بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولم يدخل الرسول مكة دخول الظافر المنتصر، الذى يسوى حساباته مع أعدائه الألداء، ويعاملهم بمثل ما عاملوه به هو ومن معه قبل الهجرة وبعدها، وإنما كان مثلا أعلى فى أخلاقه بين النبيين والناس أجمعين، فدخل مكة على ناقته القصواء خافضا رأسه خشوعا لله وشكرا وتذللا حتى تكاد ذقنه تمس عنق ناقته، ثم نادى فى القوم: يا أهل مكة، ما تظنون أنى فاعل بكم؟

قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وصدر العفو النبوى العام عن أعداء الإسلام بعد أن أمكن الله رسوله منهم. ولكن هذا الفارس الذى نتحدث عنه رأى أن جرمه وعداوته أكبر من أن تدخل تحت هذا العفو العام وأن محمدا لابد أنه سيأخذه بجرائمه، ويقتله، وفر من مكة إلى جدة وركب سفينة إلى اليمن، وترك زوجه أم حكيم التى أسلمت ودخلت فى دين الله مع الداخلين. وفى أحد الأيام جاءت أم حكيم إلى رسول الله ﷺ تقول له: يا رسول الله زوجى وأبو أولادى عكرمة بن أبى جهل، قد هرب إلى اليمن فأمنه. فيرد عليها الرسول الرحيم بقوله: هو آمن. وتخرج أم حكيم من فورها بالبشرى تحملها إلى زوجها فى اليمن قائلة له: أبشر فقد آمنك محمد وما عليك إلا أن تعود إلى وطنك وأولادك. ويعود عكرمة بن أبى جهل ويرحب به الرسول قائلا: مرحبا بالراكب المهاجر ويقول عكرمة وقد أعلن إسلامه: والله يا رسول الله لا أدع نفقة أنفقتها عليك إلا أنفقت مثلها فى سبيل الله، وصار عكرمة من المجاهدين فى التمكين لكلمة الله. وصار قلبه وجوارحه وكل كيانه فى حب رسول الله وما جاء به من الحق. وهكذا يفعل العفو فى القلوب، يأسرها ويحولها من العداوة والبغضاء إلى المحبة والوفاء.

«أبوبكر فى حلمه وتواضعه»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد،

فإن رسول الله ﷺ ربى فى مدرسة النبوة أولئك الأصحاب الأماجد الأكابر الذين عطرت سيرتهم أرجاء المعمورة وكانوا مثلا عاليا للرحمة والحلم والتواضع عندما يكون ذلك من الحكمة وحسن المعاملة ومثلا للتضحية بالنفس والأموال، والجهاد لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه، عندما تدعو الأمور إلى المواجهة الحاسمة مع أعداء الله المحاربين لدينه ورسوله والمسلمين.

كانت شخصية الصحابة الذين تلقوا دروس رسول الله ﷺ شخصية مكتملة فى كل المواقف يتواضعون ويحلمون عندما يفيد التواضع والحلم، ويشتدون ويقاتلون عندما يقع الاعتداء على المسلمين وحرماتهم، فهم كما وصفهم الله تعالى فى كتابه الكريم بقوله: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود» وكان أبوبكر الصديق أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال وأسرع من صدّقه فى دعوته إلى الإسلام، حتى قال الرسول فى شأنه: ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له هنة إلا أبوبكر» أى أن التردد بادئ الأمر كان يحدث ثم تأتى الاستجابة ولكن أبابكر لم يحدث منه هذا التردد عندما دعاه الرسول إلى الإسلام.

وكان أبوبكر رضى الله عنه، رقيق القلب، بكاء يميل إلى الرفق ويقدمه

فى معالجته للأمور وقد ظهر ذلك له فى مواقف كثيرة، منها مشورته على رسول الله ﷺ بأخذ الفداء من أسرى بدر وإطلاق سراحهم لعل الله أن يهديهم إلى الإسلام، أو يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا.. ولما تولى أبوبكر خلافة رسول الله ﷺ ظهرت شخصيته المتكاملة، فكان شديدا داعيا إلى قتال أولئك الذين ارتدوا عن الإسلام والذين أنكروا فريضة الزكاة، ولم تلن له قناة فى مواجهتهم حتى أعز الله به الإسلام وثبت به أركان الدولة الإسلامية، ومع هذه القوة الرادعة للخارجين على دين الله وجماعة المسلمين، كانت الرحمة الحانية على الضعفاء من المسلمين وكان التواضع والرفق ولين الجانب يكمل معالم هذه الشخصية التى كانت تربيتها فى مدرسة النبوة.

فقد أخرج بن عساكر عن أبى صالح الغفارى أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزا كبيرة عمياء فى بعض حواشى المدينة من الليل، فيسقى لها ويقوم بأمرها؛ فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبى بكر الذى يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمرى.

رحم الله أبابكر الصديق الذى ثبت الله به دعائم الدولة الإسلامية والذى أودع الله فى قلبه الرحمة بالضعفاء والتواضع فى فعل الخير، فلم تمنعه الخلافة من أن يتولى عجوزا مسكينة فى ظلام الليل ويقوم على خدمتها «أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب».

أبوبكر يعفو ويحسن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد،

فإن السيدة عائشة أم المؤمنين وزوج رسول الله ﷺ تعرضت لمحنة شديدة وإفك عظيم حين خاض الخائضون الكاذبون في عرضها لما رأوها تدخل المدينة على بعير يقوده صفوان بن المعطل السلمي، وكانت قد تأخرت عن الجيش بسبب بحثها عن عقد لها، وارتحل الجيش وتركها حتى أتى بها صفوان ودخل المدينة في حر الظهيرة.

فلما رأى عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وزعيمهم أن صفوان يقود راحلته وعليها السيدة عائشة رضي الله عنها، قال لمن حوله من هذه ؟ قالوا عائشة فقال هذا المنافق اللعين لمن حوله: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها والله ما نجت منه ولا نجا منها. وتولى كبر هذا الإفك والبهتان وصار يجمع أهله ويحدثهم بذلك وينشر هذا الاتهام الكاذب الذي كشف عن نفاقه وخبث نفسه وكيده للمسلمين. وانزلق بعض المسلمين في ترديد هذا البهتان وقد عاب الله عليهم هذا المسلك عندما أنزل براءة السيدة عائشة مما نسب إليها فقال تعالى: «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا سبحانك هذا بهتان عظيم». أي أن هذا هو مسلك المؤمنين والمؤمنات ألا يظن أحد سوءا بأحد لمجرد شائعة تشاع حوله، وإن ظن السوء بالغير كظن السوء بنفس الإنسان لأن أخوة الإيمان تجعل المؤمنين جسدا واحدا ونفسا واحدة. هذا هو الواجب على كل مسلم.

وأنزل الله براءة السيدة عائشة من هذا الإفك المبين فى ثمانى آيات من سورة النور وأوعد الذى تولى كبره بالعذاب العظيم.. ولما نزلت الآيات فى براءة السيدة عائشة دعا رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح فجمع الناس ثم تلاها عليهم ثم بعث إلى الذين خاضوا فى هذا الإفك فأقام عليهم حد القذف وضربهم ضربا وجيعا وكان من بينهم «مسطح بن أثاثة» وهو قريب لأبى بكر وكان من الفقراء الذين تعهد أبوبكر بالإنفاق عليهم لحاجتهم وهجرتهم وقرابتهم منه، فلما وقع فى الإفك، أقسم أبوبكر ألا يعطيه شيئا من النفقة أو الصدقة، ولكن الله تعالى يرتقى بالنفوس المؤمنة فى مدارج الكمال فأنزل الله سبحانه: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم». فلما سمعها أبوبكر قال: بلى والله يا ربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا. وأعاد إلى «مسطح» نفقته. وفى رواية أنه ضاعفها له. وكان أبوبكر أسوة حسنة فى عفوه وبره واستجابته لأمر ربه رغم ما أصابه من تجريح وآلام نفسية من هذا القريب الذى تورط فى شائعة الإفك والبهتان على أم المؤمنين ابنة أبى بكر الصديق.

صدقوا الله فنصرهم بغير معركة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد،

ففى السنة التاسعة من الهجرة وصلت الأنباء إلى المدينة المنورة بأن الرومان قد أعدوا العدة للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين ، وكانت قوة الرومان أكبر قوة عسكرية ظهرت على وجه الأرض فى ذلك الزمان، وأوجس المسلمون خيفة من مواجهة هذه القوة، فقد عرفوا أن هرقل قد هيأ جيشا قوامه أربعون ألف مقاتل، زودهم بالسلاح والعتاد والرواحل وجهزهم للمعركة تجهيزا كاملا لمهاجمة المسلمين فى عقر دارهم للقضاء على القوة الإسلامية التى ظهرت فى فتح مكة وغزوة حنين والتى تزيد وتنمو بدخول الناس فى دين الله أفواجا .

ومما يزيد من خطورة الموقف أن الزمان كان فصل القيظ الشديد ، وكان الناس فى عسرة وجدب وقلة فى المال والدواب، وكانت الثمار قد طابت بالمدينة والناس يحبون المقام ليقطفوا ثمارهم التى تمثل مؤونة سنة كاملة عندهم، ومع هذا كانت المسافة بين المدينة ومقر الرومان فى تبوك مسافة بعيدة والطريق وعرة صعبة مع قلة الزاد وشدة الحر مما جعل الموقف خطيرا حقا .

ولكن الرسول ﷺ بنظرته الثاقبة وحكمته البالغة كان يرى أن لابد من السير إلى أولئك الذين يعدون العدة لمهاجمة المسلمين مهما كانت الظروف والعقبات فإن الأمر لا يحتمل إبطاء ولا ترددا، فنادى ﷺ فى

الناس أن يستعدوا للقاء الرومان فى تبوك، وحضهم على الجهاد والإنفاق فى سبيل الله. واستجاب المسلمون لنداء رسول الله ﷺ وتسابقوا فى تقديم أموالهم لتجهيز الجيش وإعداده لهذه الغزوة التى سميت غزوة العسرة لما كان فيها من المتاعب والمصاعب والشدائد، وأعطى كل واحد قدر استطاعته واشتد عزمهم على تخطى العقبات وتجهز الجيش وتحرك مع رسول الله ﷺ نحو الشمال يريد تبوك وكان جيشا كبيرا قوامه ثلاثون ألف مقاتل.. ولم يتخلف عن الخروج فى هذه الغزوة إلا ضعيف حبسه العذر أو منافق استأذن وقدم سببا كاذبا وقد أنزل الله فى هؤلاء المنافقين آيات تفضحهم فقال تعالى: «لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون».

واستغرقت هذه الغزوة خمسين يوما أقام منها جيش المسلمين عشرين يوما فى تبوك وهو مستعد للقاء العدو، وزاده الإيمان بالله ورسوله، وعدته الاستجابة الصادقة والعزيمة القوية، وعرف الرومان وحلفاؤهم أن لا قبل لهم بملاقاة المسلمين الذين خرجوا جهادا فى سبيل الله، وابتغاء مرضاته، فأخذهم الرعب وتفرقوا فى البلاد داخل حدودهم.. وحقق جيش المسلمين مكاسب سياسية كبيرة فقد هابه أعداؤه وعرفت الجزيرة وما حولها قوة المسلمين العسكرية. وعاد الجيش إلى المدينة وقد حقق النصر بغير معركة وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا.

شتان بين أمة تجمعها الأخطار وتشد من عزيمتها، وأمة يفرقها الخوف ويهزم إرادتها «ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوى عزيز».

سياسة نبوية حكيمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، أما بعد،

فقد انتهت معركة حنين بنصر الله للمسلمين على قبائل هوازن وثقيف وجشم ونصر وسعد بن بكر ومن معهم، وجاء هذا النصر بعدما فر المسلمون أول الأمر من هول المفاجأة بالكمائن التى أمطرتهم بالنبال وشدت عليهم شدة رجل واحد ولكن لم يستمر هذا الانهزام طويلا فقد نادهم رسول الله ﷺ بقوله هلموا إلىّ أيها الناس أنا رسول الله ، أنا محمد ابن عبدالله، وناداهم العباس عم النبى وكان قوى الصوت، فعادوا وتجالدوا مع القوم وقاتلوا قتال الذين يطلبون الشهادة فى سبيل الله وأنزل الله السكينة على قلب رسوله والمؤمنين وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين.

وكان مالك بن عوف القائد العام لجيوش المشركين قد ساق مع المقاتلين أموالهم وإبلهم وأغنامهم ونساءهم وأولادهم ليكون ذلك أدعى إلى ثباتهم فى القتال واستماتتهم فى الدفاع عن أهليهم وأموالهم، فلما كانت الدائرة عليهم غنم المسلمون كل هذه الغنائم التى بلغت ستة آلاف رأس من السبايا وأربعة وعشرين ألفا من الإبل، وأكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية من الفضة، وقد جمع رسول الله ﷺ هذه الغنائم وحبسها فى «الجعرانة» وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفارى ولم يقسمها حتى فرغ من مطاردة الذين فروا إلى الطائف. ولما عاد بعد رفع

الحصار عن الطائف مكث بالجعرانة بضع عشرة ليلة لا يقسم الغنائم على أمل أن يأتى إليه وفد هوازن تائبين فيرد إليهم ما فقدوه، فإن المسلمين يجاهدون لتكون كلمة الله هى العليا، وليس جهادهم لإحراز الغنائم والأموال، ولذلك كانت رغبة الرسول ﷺ فى أن يهدى الله هوزان وثقيف إلى الإسلام ويرد إليهم أموالهم ونساءهم وذراريهم وكل السبايا منهم، ولكن لم يجىء إليه أحد منهم.

وبدأ الرسول بتقسيم الأموال فأعطى المؤلفة قلوبهم وهم الذين أسلموا حديثا بعد فتح مكة ولم يمض على إسلامهم أكثر من شهر واحد، أعطاهم عطايا كثيرة، أعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل، وأعطى ابنه يزيد مثلها، وابنه معاوية مثلها، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه، وأعطى صفوان بن أمية ثلاثمائة، وأعطى كثيرين من قريش وغيرها خمسين خمسين، وأربعين أربعين، حتى ازدحمت عليه الأعراب يطلبون المال.

وكان هذا العطاء سياسة يتألف بها قلوب الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم، ولم يفهم الأنصار هذه السياسة ووجدوا على رسول الله ﷺ حيث لم يعطهم شيئا حتى قال قائلهم: «لقى رسول الله ﷺ قومه» فدخل عليه سعد بن عبادة وأخبره بغضب الأنصار وحزنهم. فقال له الرسول: اجمعهم لى. فلما جمعهم قال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار، مقالة بلغتنى عنكم، وجدة وجدتموها علىّ فى أنفسكم. ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى. الله ورسوله أمنُّ وأُفضل.

ثم قال: ألا تجيبونى يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ قال: أما والله لو شئتم لقلتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك. أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، وتركتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وترجعوا برسول الله فى رحالكم؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.. فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا رضينا بالله ورسوله قسما وحظا، واطمأنت النفوس لهذه السياسة النبوية الحكيمة.

عدل أمير المؤمنين عمر

أسلم جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ببلاد الشام، كتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى القدوم عليه، فأذن له عمر، فخرج إلى المدينة فى خمسمائة من أهل بيته، تظهر عليهم أبهة الملك وعظمته، يتقدمهم جبلة وقد لبس تاجه المرصع بالجواهر والماس، ودخل المدينة المنورة والناس ينظرون إليه وإلى موكبه وزينته، وأراد الخليفة عمر أن يخرج للحج فخرج معه جبلة حاجا محرما، وبينما هو يطوف بالبيت إذ وطئ إزاره رجل من بنى فزارة فغضب جبلة غضبا شديدا ولطم الرجل على وجهه، وذهب الفزارى إلى عمر شاكيا ما فعله جبلة به.

وأرسل عمر إلى جبلة بن الأيهم فأتاه، فقال له عمر: هل لطمت هذا الرجل على وجهه؟ قال: نعم. فقد وطئ طرف إزارى، وما كان لرجل من السوقة أن يطأ إزار ملك من ملوك آل غسان. ولولا حرمة الكعبة لضربته بالسيف بين عينيه. قال عمر: قد أقررت بأنك لطمته، فإما أن ترضى الرجل وإما أن أقيده منك. أى اقتص له منك، فيلطمك كما لطمته. قال جبلة: أيقتص من الملوك للسوقة؟ قال عمر: إن الإسلام سوّى بينك وبينه، ولا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، فالناس جميعا لآدم وآدم من تراب، وتلا عليه قول الله تعالى: «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

وعجب جبلة من هذه المساواة التى لا تفرق بين الملوك وأفراد الشعب فى إقامة العدل وحفظ الحقوق، فالناس فى الإسلام سواسية كأسنان المشط.

ولم تحتمل نفس الرجل هذه المساواة فقد عاش حياته ملكا من سلالة ملوك، يأمرون فيطاعون، ويفعلون ما يريدون، لا يعقب عليهم أحد، ولا يجرؤ على محاسبتهم أحد، وها هو الآن يواجه حالة لم يعرفها من قبل، وهو مطالب بأن يرضى رجلا من عامة الناس أو يقتص له منه، فقال جبلة لأمير المؤمنين عمر: أمهلنى هذه الليلة حتى أختار أحد الأمرين، فأمهله عمر، وفى ظلام الليل وهدوئه خرج جبلة ومن معه من الرجال فارا إلى القسطنطينية ودخل إلى هرقل فتنصر هو وقومه.

لقد كان موقف عمر بن الخطاب عظيما حين لم يفرط فى قيمة من قيم الإسلام العليا وهى العدل بين الناس، فلم تأخذه فى الله لومة لائم، ولم يبعده عن الحق مهابة ملك ظالم، وضعف رجل مظلوم، إن الإسلام لاينتصر بهؤلاء الذين ينتسبون إليه ولا يخضعون لأحكامه العادلة وأخلاقه الفاضلة، وإنما ينتصر بتطبيق هذه القيم العليا فى دنيا الناس حتى يطمئن كل فرد على حقه، ويأمن كل شخص على حياته.

رحم الله عمر بن الخطاب فقد كان أسوة حسنة فى رعايته للعدل والإنصاف وقدوة يقتدى بها الولاة والأمراء وبقيت سيرته العطرة لسان صدق فى العالمين.

عُمـر والمصـرى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد،

فقد تربى صحابة رسول الله ﷺ على المائدة الشهية من الأخلاق النبوية الزكية، وكان منهم الذين تفخر الدنيا بأخلاقهم، وتتحدث الركبان بصفاتهم ومكارمهم، ومن بين هؤلاء عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، كان شديدا فى الحق، لا تأخذه فى إقامته لومة لائم، وكان يأخذ نفسه وأهله بأشد مما يأخذ به غيرهم من عباد الله، ليكون فى عدله وحكمه أسوة حسنة وقدوة طيبة يقتدى بها أفراد الرعية راغبين راضين بأن يكونوا على نهج أمرائهم وأولى الأمر فيهم، لا فرق عنده بين شريف ووضيع ولا بين أمير وشخص مغمور، ولا بين قوى وضعيف، فالكل أمام الحق والعدل سواء، امتثالا لأمر الله تعالى الذى يقول فى كتابه الكريم: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا».

فعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ ما كان له أن يخالف أمرا من أوامر الله تعالى، وما كان له أن يسلك سبيلا غير السبيل الذى سلكه رسول الله ﷺ وتربى عليه عمر، فقد سمع الرسول ﷺ يقول: «إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».

هذه التربية الأخلاقية المثالية ظهرت فى عدل عمر حين ولاه الله أمر المسلمين فهو يقيم العدل بين عامة الناس لا يحيد عنه ولا يلتف حوله بل يقصد إلى الحق قصدا صريحا واضحا لكل الناس.

روى أنس بن مالك أن مصريا جاء إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه ابن والى مصر عمرو بن العاص، فقد سبقت فرس المصرى فرس ابن عمرو فى سباق أجراه الوالى بين الخيل، فاغتاظ ابن عمرو وضرب المصرى بالسوط، وهو يقول له: خذها وأنا ابن الأكرمين. وقدم المصرى إلى الخليفة شاكيا، قال أنس: فوالله ما زاد عمر على أن قال: اجلس. ومضت فترة استقدم خلالها عمرا وابنه من مصر، فقدما ومثلا فى مجلس عمر، فنادى عمر: أين المصرى؟ دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين، فضرب المصرى ابن عمرو حتى أخذ بحقه منه، ولما اكتفى قال عمر: أجلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه. قال عمرو فزعا: يا أمير المؤمنين، قد استوفيت واشتفيت، وقال المصرى معتذرا: قد ضربت من ضربنى .فقال عمر: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه. والتفت إلى عمرو مغضبا وهو يقول: يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟

وسمعت الدنيا مقالة عمر التى هى من نور الإسلام وعدله وشهد التاريخ لهذا الحاكم العادل وسجلت له صحائف الثناء والشكر وسارت بذكره الركبان وصار قدوة للمؤمنين الصادقين والحكام المقسطين.

نصيحة عمر لابنه عبد الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن ولاه أما بعد .

فقد أقبلت الدنيا على عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أكثر مما أقبلت على غيره من أصحاب رسول الله ﷺ، ولكن عمر أعرض عنها ولم يلتفت إليها وزهد فيها أشد الزهد، وقد فتح الله فى عهده الممالك وعم الخيرُ كل الناس وزاد المال والطعام زيادة كبيرة، ولكنّ حرصَ عمر على الاقتداء برسول الله ﷺ، و تتبع أثر أبى بكر الصديق الذى سبقه فى الخلافة – صرفه عن بهجة الحياة وزينتها .

وكان – رضى الله عنه – يأخذ أهله وأولاده بمثل ما أخذ به نفسه من الزهد والبعد عن طيبات الطعام واللباس خشية أن يُنقص ذلك من أجره فى الآخرة، وخوفا من مثل قول الله تعالى : «أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها» .

دخل عمر على ابنه عاصم وهو يأكل لحما، فقال : ما هذا؟ قال : قرمنا إليه – إى اشتهينا إليه – قال : أو كلما قرمت إلى شىء أكلته؟ كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما يشتهى .

وعن ابن عمر قال : دخل أمير المؤمنين عمر ونحن على مائدة ، فأوسعت له عن صدر المجلس فقال : بسم الله، ثم ضرب بيده فى لقمة فلقمها، ثم ثنى بأخرى ثم قال : إنى لأجد طعم دسم غير دسم اللحم،

فقال عبدالله، يا أمير المؤمنين إنى خرجت إلى السوق أطلب السمين لأشتريه فوجدته غاليا، فاشتريت بدرهم من المهزول وجعلت عليه بدرهم سمنا، فقال عمر: ما جتمعا عند رسول الله ﷺ إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر، فقال عبدالله بن عمر: يا أمير المؤمنين. ولن يجتمعا عندى أبدا إلا فعلت ذلك. وهكذا استجاب عبدالله لما أخبره به أبوه عن فعل رسول الله ﷺ من أنه ماكان يجمع بين اللحم والسمن فى طعامه قط بل كان يتصدق بأحدهما ويكتفى بالآخر.

ولم يكن زهد رسول الله ﷺ وزهد أصحابه عن فقر وقلة ذات اليد فقد تجلى هذا الزهد وقد أقبلت الدنيا وكثرت الغنائم والأموال والأرزاق. كانوا يعمرون دنياهم بالعمل النافع لهم ولأمتهم ولا يدخرون وسعا فى رعاية من ولاهم الله عليهم وبذل الجهد فى اصلاح شأنهم وتيسير معايشهم ونشر العدل والأمن بينهم، وكانوا يقدرون مسئولياتهم التى ولاهم الله إياها ويخشون أن يسألهم الله عن شئ ضيعوه أو غفلوا عنه حتى إن عمر بن الخطاب وهو فى خلافته يقول: لو مات جمل ضياعا على شط الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنه.

إن الزهد فى الدنيا وزينتها لا يتعارض مع تحمل المسئوليات والقيام بها خير قيام. بل إنه إذا كان الزهد عن اختيار رغبة فى ثواب الله يوم القيامة فإنه يكون عونا على استحضار عظمة الله فى كل وقت والخوف من حسابه. و نتيجة ذلك الارتقاءُ بالحياة وتحملُ المسئوليات فيها واعطاءُ كل ذى حق حقه، ولمثل هذا فليعمل العاملون.

صلح الحديبية ومعارضة عمر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن ولاه... وبعد .

ففى السنة السادسة من الهجرة رأى رسول الله ﷺ فى منامه وهو بالمدينة أنه دخل المسجد الحرام وطاف واعتمر هو واصحابه، وأن بعضهم حلق رأسه وبعضهم قصّر شعره ، فأخبر أصحابه بذلك ففرحوا وتجهزوا للسفر مع رسول الله ﷺ .

وخرج رسول الله واصحابه من المدينة يوم الاثنين غرة ذى القعدة سنة ست من الهجرة ومعه زوجه أم سلمة، ولم يكن معهم سلاح إلا سلاح المسافر. السيوف فى قرابها .

وتحرك فى اتجاه مكة فلما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم هو ومن معه بالعمرة، ولم يقصد قتالا، ولكن قريشا لما سمعت بخروج النبى ﷺ قررت صد المسلمين عن البيت وأعدت عدتها لذلك، وسلك رسول الله ﷺ طريقا غير مألوف - تفاديا للقتال - حتى إذا بلغ الحديبية واطمأن بها أرسلت إليه قريش رسلها الواحد تلو الآخر يستطلعون سبب مجيئه، وأراد رسول الله أن يبعث سفيرا يؤكد لقريش موقفه وهدفه من هذا السفر فأرسل عثمان بن عفان وقال : أخبرهم أنا لم تأت لقتال وإنما جئنا عمارا، وادعهم إلى الإسلام. وقام عثمان بما أمره به رسول الله ﷺ ، واحتبسته قريش بعض الوقت للتشاور فيما بينهم، وأشيع بين المسلمين أن عثمان قد قتل، فبايع الرسول أصحابه على مناجزة القوم وقتالهم، وكانت المبايعة تحت شجرة فى الحديبية وسميت هذه البيعة بيعة الرضوان التى انزل الله فيها : «لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا» .

وعرفت قريش حراجة الموقف فارسلت سهيل بن عمرو ليعقد صلحا مع النبى ﷺ وتم الاتفاق على أن يرجع الرسول من عامه فلا يدخل مكة، فإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا فيها ثلاثا لا يتعرض لهم أحد، وعلى أن تتوقف الحرب بين الطرفين عشر سنين، وأن من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وعلى أن من أتى محمدا هاربا من قريش رده عليهم، ومن أتى قريشا هاربا من محمد لم يردوه عليه. وقد أثار هذا البند الأخير حزن بعض المسلمين ومن أشدهم فى اظهار هذا الحزن والجهر بالمعارضة «عمر بن الخطاب» فقد جاء إلى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى . قال: أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار؟ قال: بلى. قال: ففيم نعطى الدنية فى ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: يا ابن الخطاب. إنى رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصرى ولن يضيعنى أبدا. قال: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال: بلى فهل أخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: لا . قال: فإنك آتيه ومطوف به.

ثم انطلق عمر متغيظا إلى أبى بكر فقال له مثل ما قاله لرسول الله ﷺ، ورد عليه أبو بكر كما رد عليه رسول الله ﷺ وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت. فوالله إنه لعلى الحق. واظهرت الأيام والأحداث أن صلح الحديبية كان فتحا مبينا.

وندم عمر على ما فرط منه ندما شديدا، وكان حلم رسول الله ﷺ عليه بلسما لغضبته وتنبيها له بأن الله ناصر رسوله ومؤيدُ دينه، ولم يغضب رسول الله لمعارضة عمر وشدته فى عباراته ، فكان للمسلمين فى حلم رسول الله ورفقه فى معالجة الموقف أسوة حسنة.

شكوى الاعرابية إلى عمر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن ولاه . . . وبعد .

فإن الإسلام لا يضيعُ فى دولته فقير ولا مسكين، ولا يبقى فى مجتمعه سائل ولا محروم، فقد فرض الله فى أموال الاغنياء ما يكفى حاجة الفقراء والمساكين، وجعل الله الزكاة فريضة محكمة واجبة الأداء فقال جل شأنه « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وحذر الله أولئك الذين يبخلون بأموالهم فلا يؤدون حق الفقراء فيها ولا ينفقونها فى وجوه الخير وتفريج الكربات فقال : ﴿ **والذى يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** ﴾ ولما بعث رسول الله ﷺ معاذا إلى اليمن قال له : « ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فإن هم أطاعوك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » . وقد عرف أصحاب رسول الله ﷺ منزلة فريضة الزكاة بين فرائض الإسلام، وأثرها فى بناء المجتمع الإسلامى المتراحم المتعاون المتحاب، فلما لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ومنع قوم أداء الزكاة لخليفة ا لمسلمين أبى بكر الصديق حاربهم أبو بكر والمسلمون معه ليقيموا هذه الفريضة المحكمة فيهم وقال أبو بكر فى ذلك عبارته المشهورة : « والله

لو منعونى عناقا – او عقال بعير – كانوا يعطونها لرسول الله لحاربتهم عليه». وسار خلفاء رسول الله على سنة النبى ﷺ فى إرسال العمال الذين يجمعون الزكاة من الأغنياء ويوزعونها على الفقراء حسب ما قررته شريعة الإسلام وحسب نظام التوزيع الذى وضعه خليفة المسلمين.

وكان الفقراء يعرفون حقوقهم فإن لم تصل إليهم شكوا عامل الزكاة إلى ولى الأمر الذى يسارع بتوصيل الحق إلى أصحابه. روى أبو عبيدة قال: بينما عمر بن الخطاب نصف النهار قائل فى ظل شجرة – إذا أعرابية توسمت الناس فجاءته فقالت: إنى امرأة مسكينة ولى بنون. و إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة ساعيا – أى جابيا وموزعا للصدقات – فلم يعطنا. فلعلك يرحمك الله أن تشفع لنا إليه. فقال: إنه سيفعل إن شاء الله. وأمر الخادم فجاء بمحمد بن مسلمة، فقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين. فاستحيت المرأة. فقال عمر: كيف أنت قائل إذا سألك الله عز وجل عن هذه؟ فدمعت عينا محمد بن مسلمة، ثم قال عمر: إن الله بعث إلينا نبيه محمدا ﷺ فصدقناه واتبعناه، فعمل بما أمره الله به، فجعل الصدقة لأهلها من المساكين حتى قبضه الله على ذلك، ثم استخلف الله أبا بكر فعمل بسنته حتى قبضه الله، ثم استخلفنى فلم آل أن أختار خياركم، إن بعثتك فأد إليها صداق العام وعام أول، وما أدرى لعلى لا أبعثك. ثم دعا لها بحمل فأعطاها دقيقا وزيتا وقال: لعل فى هذا بلاغا لكم إلى أن يأتيكم محمد بن مسلمة فقد أمرته أن يعطيك حقك لعامين. هكذا كانت الدولة ترعى حقوق الفقراء وتوصلها إليهم فى يسر وكرامة.

أول سفير فى الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن ولاه وبعد .

ففى السنة الثانية عشرة من نبوة رسول الله ﷺ ، وفى موسم الحج جاء من يثرب - التى سماها الرسول المدينة المنورة فيما بعد - اثنا عشر رجلا، والتقوا سرا برسول الله ﷺ عند العقبة وبايعوه على الا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصونه فى معروف، فبايعهم رسول الله ﷺ على ذلك .

وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم بعث النبى ﷺ معهم أول سفير له فى يثرب . ليعلمّ المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم فى الدين، ويقرئهم القرآن، و ينشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك، واختار لهذه السفارة شابا من شباب الإسلام من السابقين الأولين، هو مصعب بن عمير العبدرى رضى الله عنه .

ومصعب بن عمير من أسرة غنية ذات ثراء وفير، وكان قبل اسلامه ينعم بهذا الثراء حتى عرف بين شباب مكة بأنه أعطر أهل مكة، فقد كان ذا رائحة عطرة تنبئ بمقدمه وكان يلبس أجمل الثياب وأغلاها ويحضر مجالس سادة قريش لو جاهته ورجاحة عقله وحكمته المبكرة . وما إن سمع مصعب ما يتناقله القوم من أخبار محمد الأمين ودعوته وقد سمع فيما سمع أن الرسول ومن آمن معه يجتمعون سرا فى دار الارقم بن أبى الأرقم .

فلم يطل به التردد وذهب إلى دار الارقم وسمع القران من رسول الله ﷺ فاتفتح قلبه للإيمان وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

وانقلب عطف أبويه عليه قسوة وحرمانا، واشتد غضب أمه عليه، وحبسته وأحكمت عليه إغلاق محبسه، ولكنه احتال لنفسه وغافل حراسه وهاجر مع بعض المؤمنين إلى الحبشة فى الهجرة الأولى، ثم عاد إلى مكة ثم هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية مع من أمرهم الرسول بهذه الهجرة، وقاسى مصعب شظف العيش وقسوة الفقر فما زاده ذلك إلا ايمانا وتسليما وحبا لهذا الدين ورسوله الذى جاء به وظهر ثباته ويقينه لدى كل من عرف حاله قبل الإسلام وبعده. هذا هو مصعب بن عمير صاحب الايمان القوى والعقل الراجح الذى اختاره رسول الله ﷺ ليسافر إلى يثرب مع وفد العقبة الأولى أول سفير للإسلام ودعوته.

ولقد أثبت مصعب بكياسته وحسن بلائه وحكمته فى الدعوة أنه أهل لثقة رسول الله ﷺ، فما إن مضى عام و احد حتى جاء مصعب على رأس وفد من المؤمنين عددهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتين كانوا أهل بيعة العقبة الثانية الذين بايعوا رسول الله على السمع والطاعة والنفقة فى العسر واليسر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعلى أن ينصروا رسول الله إذا قدم إليهم ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم، ولهم الجنة.

وعاد الوفد المؤمن إلى يثرب، وصار للإسلام موطن وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة وأذن الرسول للمسلمين بالهجرة ثم هاجر رسول الله إلى يثرب وسماها المدينة المنورة، ودارت معركة بدر مع كفار قريش فى السنة

الثانية من الهجرة وقد أذل الله المشركين ونصر المسلمين عليهم ثم جاءت معركة أحد، وكان حامل اللواء فيها مصعب بن عمير أول سفير للإسلام، فما ترك اللواء حتى استشهد ولقى ربه راضيا مرضيا، ووقف رسول الله ﷺ بعد المعركة ينظر إليه ويقول: «لقد رأيتك بمكة، وما بها أرق حلة، ولا أجمل لمة منك، ثم ها أنت ذا أشعث الرأس فى بردة» وصدق قول الله فيه وفى أمثاله: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا» رحم الله مصعب بن عمير وسلام عليه وعلى شهداء المسلمين فى معارك الإيمان والدين.

أبو بصير يهزم الطغيان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

أبو بصير عتبة بن أسيد رجل من ثقيف حليف لقريش، أسلم وهو فى مكة ومنعه المشركون من الهجرة فكان مع المستضعفين من المسلمين الذى يعيشون فى مكة بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة هو ومن استطاع الهجرة من المسلمين، وبقى أبو بصير فى مكة إلى السنة السادسة من الهجرة، ولما أبرم صلح الحديبية بين المسلمين وأهل مكة وجد أبو بصير الفرصة السانحة لفكاكه من أسر المشركين له فى مكة، فاغتنمها وتمكن من الفرار إلى رسول الله ﷺ، فأرسلت قريش رجلين يطلبان من النبى تسليمه لهما، وفاء بما جاء فى عهد الحديبية فأمره عليه الصلاة والسلام بالرجوع معهما، فقال يا رسول أتردُّنى إلى الكفار يفتنونى فى دينى بعد أن خلصنى الله منهم؟ فقال له الرسول ﷺ «يا أبا بصير: إن الله سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، فانطلق أبو بصير مع الرجلين حتى إذا كانوا على بعد ستة أميال من المدينة المنورة أخذ السيف من أحد الرجلين وقتله، ثم عاد إلى المدينة وقال: يا رسول الله وفت ذمتك وأدى الله عنك، أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه ويعبث بى، فأمره الرسول أن يغادر المدينة ويذهب حيث شاء، وكان ذلك وفاء من رسول الله ﷺ بالعهد الذى أبرمه مع قريش فى صلح الحديبية والذى نص فى أحد بنوده: من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه -أى هاربا منهم- رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد -أى

هاربا منه- لم يردوه عليه وكان هذا النص يبين مقدار غطرسة قريش وطغيانها، وقد استاء المسلمون من هذا النص وعلى رأسهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد عبر عن حزنه واستيائه من هذا النص الذى يرد إلى المشركين من جاء مسلما، ولا يرد المشركون من ذهب إليهم مرتدا -قال عمر: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى قال: أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار؟ قال: بلى قال: ففيم نعطى الدنية فى ديننا، ونرجع لما يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: يا ابن الخطاب إنى رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصرى ولن يضيعنى أبدا، وقال عمر مثل قوله هذا لأبى بكر فسمع منه مثل ما قاله رسول الله ﷺ وزاد قوله: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق.

رد النبى أبا بصير ولم يسمح له بالبقاء فى المدينة وفاء لهذا العهد الذى بدا للمسلمين أنه مجحف لهم، وكان يسوؤهم أن يردوا من جاءهم مسلما ولا يحموه من أذى المشركين، ولكن أبا بصير كان قوى الإيمان شجاعا يعرف كيف يدبر أموره ويتصرف تصرف الشجعان فخرج من المدينة إلى ساحل البحر ونزل فى مكان تمر به قوافل قريش الذاهبة إلى الشام، وعرف المسلمون المحتبسون بمكة خبر أبى بصير ومكان نزوله فخروجوا إليه وانضموا له حتى بلغوا سبعين رجلا، وأنشأوا جيبا حربيا يهاجمون به القوافل التجارية لقريش انتقاما مما الحقوه بهم من تعذيب وتنكيل وفتنة فى الدين، وبذلك هدد أبو بصير ومن معه من المسلمين تجارة قريش وضيقوا عليها، وأخذوا أموالها، فكتبت قريش إلى النبى ﷺ تناشده الله والرحم إلا آواهم فلا حاجة لهم بهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل

النبى إليهم فقدموا عليه المدينة، وتنازلت قريش عن البند الجائر فى صلح الحديبية الذى أحزن المسلمين وساءهم، وانهزم طغيان قريش أمام إيمان أبى بصير القائد المجاهد الذى عرف كيف يلقن المشركين درسا يزلزل أركانهم ويهزم طغيانهم .

رحم الله أبا بصير الذى ضرب المثل فى قوة الإيمان التى تصنع الأعاجيب .

النعمان وهدية أبيه إليه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن العدل قيمة إسلامية عالية، له بين الأخلاق الإسلامية منزلية رفيعة ومكانة سامية، ولذلك تكررت أوامر الله لعباده أن يتمسكوا بالعدل فى كل تصرفاتهم وأحكامهم وعلاقاتهم بعضهم مع بعض، وألا تصرفهم عن العدل صوارف الهوى أو الرغبة أوالمصلحة العارضة، فإن الظلم مرتعه وخيم، والظلم ظلمات يوم القيامة، والله لا يحب الظالمين. وقد جاءت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تأمر بالعدل بين الناس أمرا مؤكدا من الله رب العالمين يقول الله تعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» ويقول جل شأنه: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا» ويحذر القرآن الكريم من أن تكون العواطف الإنسانية سببا فى ترك العدل والميل إلى الجور والظلم، سواء أكانت هذه العواطف محبة ومودة لقريب حبيب أم كانت كرها وبغضا لعدو بغيض. فإن المسلم يجب أن يتخلص من هذهالعواطف ويتمسك بإقامة العدل فى كل الأحوال، ولا يتبع هواه فيميل به إلى الظلم وإهدار الحقوق.

ففى تجريد المؤمنين من هوى الميل إلى من يحبون يقول الله تعالى: «يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى

أن تعدلوا، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعلمون خبيرا »وفى تجريد نفوس المؤمنين من عوامل الحقد والكراهية يقول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » ويأمر الله بالاقتصار على زوجة واحدة إذا خاف الإنسان عدم العدل « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » .

كما يأمر على لسان رسول الله ﷺ بالعدل بين الأولاد فى المداعبة وإظهار الحنان وفى الإنفاق وفى العطية فلا يعطى الأب واحدا منهم شيئا من المال يختصه به دون أخوته بغير سبب موجب لهذا العطاء، فإن ذلك من الظلم الذى يثير الأحقاد ويزرع البغضاء والكراهية فى النفوس، والإسلام حريص أشد الحرص على سلامة النفوس من الضغائن وتحليها بالمحبة والود والتراحم وفى قصة النعمان بن بشير ما يؤصل هذه المعانى السامية، فقد أعطاه أبوه هدية أختصه بها دون إخوته فقالت أم النعمان عَمرةُ بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ، وأتى بشير إلى رسول الله وقال : « إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله قال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال : لا قال : « فاتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم قال : فرجع فرد عطيته »

ففى هذا الحديث أن العدل بين الأولاد واجب عند العطاء وأن تفضيل واحد دون سائر أخوته من الجور الذى أبى رسول الله ﷺ أن يشهد عليه، وذلك إذا كان العطاء لمجرد التفضيل كما فى قصة النعمان وأبيه بشير، أما إذا كان هناك من الأسباب الموجبة للانفاق على أحد الأولاد أكثر من إخوته

كنفقات المرض أو التعليم أو سداد دين أو حاجة ماسة فإن ذلك من الواجبات التى لا تدخل فى باب التفضيل بغير مبرر وليس ذلك من الميل الذى يدخل فى باب الجور، وإن من العدل تلبية الحاجات وتفريج الكربات وليس منه ترك المريض يهلك والمدين يؤرقه دينه وطالب العلم يتعثر فى دراسته، وقد كانت قصة النعمان بن بشير حالة خاصة فيها تفضيل النعمان على إخوته لغير حاجة إلا إرضاءً أمه فحسب ولذلك ورد النهى عن ذلك وهذا هو الفهم الدقيق لقوله ﷺ : «فاتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم».

ثلاثة صدقوا الله فتاب عليهم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن ثلاثة من المؤمنين تباطأوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك وهى آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ وكانت فى حر شديد وقد طابت الثمار والناس فى حاجة إلى جمع ثمارهم فخرجوا فى شدة من الأمر وفى سنة مجدبة وحر شديد وعسر من الزاد والماء حتى سمى هذا الجيش فى هذه الغزوة جيش العسرة، ولم يكن تخلف هؤلاء الثلاثة عن مخالفة لرسول الله وأمره، أو ضعف فى إيمانهم أوحرصهم على الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا، وإنما تباطأوا وتثاقلوا يوما بعد يوم ظنا منهم أنهم قادرون على اللحاق بالجيش والانضمام إليه فإن رواحلهم سريعة وجهازهم مكتمل، ومرت الأيام وهم يمنون أنفسهم بهذه القدرة حتى فات الوقت وما عادوا يستطيعون أن يدركوا الجيش المتوجه لقتال الروم وسقط فى أيديهم حتى عاد الجيش إلى المدينة وسارع المتخلفون من المنافقين ينتحلون المعاذير لرسول الله ﷺ ويحلفون له كذبا، والرسول لا يعاتب منهم أحدا، ويقبل أعذارهم ويكل سرائرهم إلى الله علام الغيوب. أما هؤلاء الثلاثة وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، كانوا على يقين أن الله سيفضح الكاذبين فلم يختلقوا عذرا، وصدقوا الله ورسوله وصارحوه بأنه لم يكن لديهم عذر إلا التكاسل والتسويف يوما بعد يوم حتى ضاعت فرصة لحاقهم بالجيش، فأمرهم الرسول بالانصراف، وأمر أصحابه باعتزالهم فلا يكلمهم أحد ولا يسلم عليهم أحد، واستمرت

هذه المقاطعة أربعين ليلة، ثم أمرهم رسول الله ﷺ باعتزال نسائهم –وهى عقوبة أخرى للتكفير عن خطئتهم، واستجابوا لله وللرسول وأعتزلوا نساءهم وعلى رأس الخمسين ليلة جاءت توبة الله عليهم فى قوله تعالى «لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم» وكانت توبة الله عليهم جزاء صدقهم ونصحهم لله ورسوله، ولم يكونوا كغيرهم من الذين اعتذروا كذبا ففضحهم الله ووصفهم بأقبح ما يوصف به الكذابون حيث قال فى شأنهم «يحلفون لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم، فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين». لقد ضرب هؤلاء الثلاثة مثلا حسنا فى التمسك بالصدق الذى كانت عاقبته توبة الله ورضاءَ رسوله والمؤمنين ولم يرضوا لأنفسهم أن يختلقوا عذرا لتخلفهم يكذبون به على رسول الله ﷺ كما فعل غيرهم من المنافقين.

جـوار الله أعـز وآمـن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن كثيرا من الناس يسارع إلى حماية نفسه من الأذى، ويرى أن ذلك من فطنته غير عابئ بما يصيب قومه وأحبابه من ضر وأذى، وهو تصرف قد يكون فى نظر بعض العقلاء مقبولا فما عيب أمرىء يسعى لإنقاذ نفسه وتأمينها وقد وجد سبيله إلى ذلك، ولكن ذوى المروءة والبطولة والشهامة يرون إنقاذ الإنسان نفسه وحده بينما أحباؤه وبنو جلدته من حوله يعذبون ويقاسون من الاضطهاد ألوانا تنوء بحملها الجبال -ليس ذلك من الشهامة والمروءة فى شىء، فالمرء مع من أحب -ينعم بنعيمهم ويقاسى بمقاساتهم ويتعاون معهم حتى يأتى فرج الله، هذا الموقف البطولى الذى يدل على قوة العزيمة وعلو الهمة هو الذى اختاره عثمان بن مظعون القرشى الجمحى الذى أسلم بعد ثلاثة عشر شخصا دخلوا الإسلام فى أول دعوته وأدخله الوليد بن المغيرة فى أمانه، فوجد نفسه يروح ويغدو فى مكة لا يتعرض له أحد بإيذاء من أجل أمان الوليد بن المغيرة له، ورسول الله والمسلمون يلقون من الأذى والبلاء ما يلقون، فقال عثمان فى نفسه: إن غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابى وأهل بيتى يلقون الأذى فى الله، ولا يصيبنى شىء، إن ذلك لمنقصة شديدة وذنب كبير.

وذهب عثمان إلى الوليد يعلمه أنه قد رد عليه جواره فطلب منه الوليد أن يرد هذا الجوار علانية فى المسجد حتى يعلم الناس ذلك، فأجابه عثمان لما أراد، وذهبا إلى المسجد فقال الوليد : هذا عثمان بن مظعون قد جاء ليرد على جوارى، فقال عثمان : صدق وقد وجدته وفيا كريم الجوار، وقد أحببت ألا استجير بغير الله عز وجل، وقد رددت عليه جواره، وانطلقت أصوات القرشيين مستهزئة ساخرة وفى يوم جلس الشاعر لبيد بن ربيعة ينشد الناس ويقول : ألا كل شىء ما خلا الله باطل فيقول عثمان صدقت، ويقول لبيد : وكل نعيم لا محالة زائل، فيقول عثمان : كذبت فإن نعيم الجنة لا يزول ويضيق صدر لبيد بهذا الذى يصدقه مرة ويكذبه أخرى ويعلن ضيقه به فيقوم سفيه من سفهاء قريش ويلطمه لطمة أخضرت منها عينه. فقال من حوله : يا عثمان لقد كنت فى ذمة منيعة وكانت عينك غنية عما لقيت!!

فقال عثمان : بل جوار الله أعز وآمن وأمنع وعينى الصحيحة فقيرة إلى ما لقيت أختها، ولى برسول الله ومن معه أسوة حسنة، وهاجر عثمان بن مظعون إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرا ولقى الله بطلا مجاهدا مشاركا فى متاعب المؤمنين وانتصاراتهم ضاربا أروع المثل فى الولاء لدينه ورسوله وجماعة المسلمين.

اخترت الله ورسوله والدار الآخرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فبعد أن فتح الله على نبيه وعلى المؤمنين وانتصروا فى غزواتهم وغنموا الكثير من الأموال التى كان الرسول ﷺ يوزعها على أصحابه ولم يكن يحتفظ لبيته وأهله إلا بالقليل الذى يكفى حد الضرورة، حتى قالت السيدة عائشة كنا نبيت الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين ما يوقد فى أبيات رسول الله نار قال عروة: فماذا كان طعامكم يا خالة؟ قالت: الاسودان التمر والماء، هذه حال أبيات رسول الله ﷺ فى المعيشة.. أما وقد فتح الله على المسلمين وكثرت بأيديهم الأموال فقد رأت زوجات الرسول أن يسألنه زيادة النفقة وجلسن حوله يطالبنه بأن يزيد فى نفقة معيشتهن، والرسول ساكت يستمع ولا يتكلم، والناس من خارج الحجرات لم يؤذن لأحد منهم ثم جاء أبو بكر فأستأذن فأذن له ودخل، ثم جاء عمر فأذن له فوجد النبى ﷺ جالسا حوله نساؤه -وكأنه أحس بالموقف -فقال والله لأقولن شيئا بضحك رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: لو رأيت بنت خارجة -امرأة عمر- سألتنى النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها -أى ضربتها فى عنقها- فضحك رسول الله ﷺ وقال: «هن حولى كما ترى يسألننى النفقة» فقام أبو بكر إلى ابنته عائشة ليضربها، وقام عمر إلى ابنته حفصة ليضربها فمنعهما رسول الله ﷺ.

ثم نزل قول الله تعالى: «يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما» ونفذ رسول الله أمر ربه وخير أزواجه وبدأ بالسيدة عائشة قال لها: «يا عائشة إنى أريد أن أعرض عليك أمرا، أحب ألا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبوبك» قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها هاتين الآيتين فقالت: أفيك يا رسول الله استشير أبوى؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وفعل أزواج الرسول مثل ما فعلت عائشة. هذا الموقف من نساء النبى لم يكن أول الأمر تجاوزا ولا خروجا على المألوف من طبائع الناس، فإن طلب النفقة مع القدرة عليها أمر عادى، ولذلك كان يقابله رسول الله ﷺ بالسكوت، ولكن بيت النبوة ليس كغيره من البيوت فالدنيا فى وجدان وحياة المنتسبين إلى رسول الله ﷺ ليس لها سلطان آسر أو قيمة غالبة فإن الدار الآخرة خير وأبقى، ولقد اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وكن بذلك أسوة حسنة لكل زوجة تختار الآخرة وثوابها ولا تغلبها الدنيا وزينتها والله تعالى يقول: «ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون».

الحكم بالظواهر والله يتولى السرائر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فقد علّم الله ورسوله المسلمين دروسا كثيرة تتعلق بحقيقة الإيمان، وأرشدهم إلى ما يجب عليهم نحو إخوانهم المسلمين، وكان من دروس الإيمان ما أمرهم الله به من قبول ما يظهر لهم من النطق بالشهادتين والحكم على من نطق بهما على أنه من المسلمين دون أن يفتشوا عن حقيقة إيمانه، وبواطن قلبه فإنّ ذلك ليس من شأنهم، وإنما عليهم أن يحكموا بالظواهر والله يتولى السرائر، وهو وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

وقد أكد الله ورسوله هذا الدرس الإيمانى حتى تشيع الثقة بين المسلمين، ولا يشكّ أحد فى إيمان أحد، ولا يتحدث أحد عما فى قلب غيره أو ما فى ضميره ، أو نيته، فإن ذلك غير متكشف للعباد، ومن تقحم الحديث عن بواطن الناس وما فى ضمائرهم فقد كلف نفسه شططا، وتحدث فيما ليس له به علم، وفى ذلك يقول الله تعالى: «يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة، كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا» فالله يوجه المؤمنين إلى ضرورة التثبت والتبين لمعرفة المعتدين المعاندين قبل أن يضعوا سيوفهم فى الرقاب، وأن يقبلوا كلمة التوحيد ممن ينطلق بها ولو كان

نطقه بالشهادتين تشوبه شائبة الخوف والتخلص من هلاك محقق ، مما يبعث على الشك فى صدق النطق بهما، ومع هذا الشك نقبل ظاهره ونترك باطنه لعلم الله .

حدث أن أسامة بن زيد رضى الله عنه بعثه رسول الله ﷺ فى سرية، وقد وقع له فيها حادث أخطأ التقدير فيه وصار يحدث به ويقول : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقة من جهينة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار –رجلا منهم، فلما غشيناه –أى تمكنا من قتله– قال : لا إله إلا الله فكف عنه الأنصارى، وطعنته برمحى حتى قتلته قال : فلما قدمنا بلغ ذلك النبىَّ ﷺ، فقال لى يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ –قلت : يا رسول الله إنما كان متعوذا –أى مستجيرا يدفع بها القتل عن نفسه– فقال رسول الله : اقتلته بعدما قال لا إله إلا الله –قال : فمازال يكررها علىّ حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وفى رواية أن رسول الله ﷺ قال لأسامة : فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة، قال : يا رسول الله استغفر لى . قال : وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة قال : فجعل لا يزيد على أن يقول كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة » رواه مسلم .

وهكذا يقرر رسول الله ﷺ قاعدة عظيمة مؤداها : أن قول لا إله إلا الله محمد رسول الله على أى وجه وتحت أى ظرف بعصم دمَ قائله ومالهَ ويدُخلُه فى جماعة المسلمين، فليس الإسلام حريصا على سفك الدماء، وإنما يلتمس أسباب حقنها فى ظل الأمن والسلام .

المـؤمنـون فـى الحديبيـة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فقد رأى رسول الله ﷺ فى منامه وهو بالمدينة المنورة أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام طائفين معتمرين، محلقين رؤوسهم ومقصرين، فأخبر أصحابه بذلك ففرحوا وتجهزوا للسفر، وأبطأ بعض الأعراب وتلكأوا، وتجهز رسول الله ﷺ وركب ناقته القصواء وخرج من المدينة فى يوم الاثنين أول شهر ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة، وكان عدد الذين خرجوا معه ألفا وأربعمائة أو ألفا وخمسمائة، ليس معهم سلاح إلا سلاح المسافر المعتاد وهو السيوف فى أغمادها وساق معه الهدى من الإبل التى سينحرها عند البيت الحرام، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه، وليعلموا أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له.

ولما سمعت قريش بخروج النبى ﷺ وأصحابه لزيارة البيت الحرام عقدت مجلسا استشاريا قررت فيه أن يصدوا المسلمين عن مكة، وألا يدخولها عليهم عنوة أبدا وتجهزوا للحرب وأعدوا خالد بن الوليد –وكان لم يسلم بعد– فى مائتى فارس طليعة لهم ليصدوا المسلمين عن التقدم، فلما علم بذلك رسول الله ﷺ ترك الطريق الرئيسى الذى يوصل إلى الحرم وسار بالمسلمين فى طريق غير ممهد تحملوا فيه كثيرا من المشاق، وكان فعله ذلك تفاديا للحرب والقتال، فإنه ﷺ والمسلمون معه لم يخرجوا للقتال وإنما خرجوا معتمرين لزيارة البيت الحرام وتعظيمه والطواف به،

وبعث رسول الله ﷺ عثمان به عفان ليخبر قريشا بأنه لم يقصد حربا وإنما قصد زيارة البيت وأداء العمرة، وأرسلت قريش رسلها الواحد تلو الآخر يستفسرون عما جاء الرسول والمؤمنون من أجله فكان ﷺ يخبرهم أنه لم يأت لقتال ولا حرب وإنما جاء زائرا للبيت معظما له وأنه ساق الهدى لذلك وشاع فى الناس أن قريشا قتلت عثمان بن عفان فقال رسول الله ﷺ لما بلغته تلك الشائعة: لا نبرح حتى نناجز القوم. فدعا رسول الله أصحابه إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فى الحديبية، وسارع المسلمون إلى مبايعة رسول الله ﷺ على القتال وعدم الفرار حتى الموت.

كان هذا الموقف من مواقف الصدق التى وقفها المسلمون مع رسول الله ﷺ، فقد خرجوا غير مستعدين للقتال لا يقصدونه ولا يريدونه،ولكن عندما حزب الأمر وقصد أعداؤهم القتال، وبلغ المسلمين ما يؤكد المقصد مما سمعوه عن مقتل عثمان بن عفان -ظهرت قوة الإيمان وتجلت الاستجابة التامة لله ولرسوله بهذه المبايعة التى بايعوها لرسول الله ﷺ على النصر ا والشهادة وقلوبهم عامرة بحب الله ورسوله مفعمة بالإيمان بنصر الله لعباده المؤمنين وقد نالوا بذلك رضاء الله ومثوبته لهم ووعدَه بفتح قريب ينصرهم الله فيه ويؤيد دينه، قد سجل القرآن الكريم لهم هذا الموقف الإيمانى العظيم فى قول الله تعالى: «لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت اشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا».

إن معادن الأمم تظهر عند الشدائد والأزمات، فالمؤمنون الصادقون لا ترهبهم قوة الأعداء، ولا تلين قناتهم أمام جموع المعتدين الظالمين.

المؤمنون الصادقون لا يبدأون بالعدوان ولا يشنون على الناس حربا عدوانية ظالمة، ولكن إذا اعتدى عليهم وظلموا كانوا سراعا إلى دفع الظلم والعدوان، مؤمنين ينصر الله وتأييده، فإن الله لا يحب المعتدين والله ينصر المظلومين الذين يخوضون حرب الدفاع عن أنفسهم وعقيدتهم، تلك صفات المؤمنين الصادقين تجلت فى بيعة الرضوان بالحديبية وسيظل هذا الموقف أسوة حسنة أمام المؤمنين فى كل زمان ومكان « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

حوار بين رجلين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فقد ضرب القرآن مثلا لرجلين أحدهما غنى له جنتان مثمرتان فيهما اعناب ونخيل وزروع وقد جرى الماء فيهما يسقى اشجارهما وزروعهما فى يسر وسهولة، ومع هذه النعم العظيمة فإن هذا الرجل لم يشكر نعمة الله عليه وقابلها بالجحود والكفران والاغترار بما عنده من مال وثمار وقال فى صلف وكبرياء وهو يحاور زميله الفقير: «أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا» ثم زاد فى جبروته وطغيانه «ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا».

قال له صاحبه وهو يحاوره ويبين له سوء عاقبة كفره وجحوده ويحذره من عذاب الله وانتقامه من كل متكبر جبار، وأظهر هذا الصاحب فى حواره مدى إيمانه بالله وعبادته له وخضوعه لقدرة الله وعظمته، وشكره على ما أنعم به عليه وإن كان الذى عنده أقل مما عند هذا المحاور المتكبر الكافر بنعم الله عليه.

قال هذا المؤمن الشاكر مخاطبا صاحبه: «أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا. لكن هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا» ومن حسن خلق هذا المؤمن وحبه الخير لكل الناس قدم نصيحة غالية لهذا الجاحد المتكبر فقال له: «ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله، إن ترن أنا أقل منك ما لا وولدا».

ولكن الرجل صاحب الجنتين استمر على كفره وعناده واغتراره بما عنده من مال وفير وثمر كثير دون أن يسند هذا العطاء إلى ربه الذى رزقه به، ودون أن يشكر الله صاحب النعمة والفضل، ودون أن يفكر فى أداء حق الله فى هذا المال، فماذا كانت نتيجة كفره وغفلته وجحوده نعمة الله عليه، هذه النتيجة صورها القرآن الكريم بقول الله تعالى :« وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ».

وهكذا تزول النعمة بسبب المعاصى والجحود والكفر بالله، ولا يفيق الإنسان إلا بعد أن تقع به الكارثة، ويقلب كفيه يضرب بأحدهما على الآخر حسرة وندامة على ما أصابه، ويتمنى أن لو سلك طريق الإيمان بالله والاعتراف بفضله ورزقه « ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا » وهكذا حال أكثر الناس يذكرون الله عند الشدائد والمحن وينسونه عند السراء والعافية . أما المؤمنون فإنهم يذكرون الله فى كل حال ويشكرون الله فى السراء ويصبرون –مع الحمد– فى الضراء ويسألون الله أن يزيدهم فى النعمة وأن يكشف عنهم السوء عند النقمة .

وقد ختمت الآيات بتقرير قيمة إيمانية راسخة هى أن ولاية الله والانحياز إلى جانبه خير وأبقى من نعيم الحياة الدنيا ومكاسبها، وعلى المؤمن أن يتدبر هذا المثل الذى ضربه الله لبيان سوء عاقبة الجاحدين وحسن عاقبة المؤمنين الشاكرين :« هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا ».

قبس من جهاد المستضعفين

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فقد أسلم «خباب بن الارت» سادس ستة سبقه خمسة إلى الإسلام ثم كان هو السادس حتى قيل إن له سدس الإسلام، ولم يكن خباب من السادة الأغنياء، ولا من القادة الأقوياء فقد كان أحد المستضعفين الذين سبقوا إلى الإسلام وغمر نوره قلوبهم وعمر الإيمان بالله أفئدتهم، ومنذ إسلامه على يدى رسول الله ﷺ اجتاز الحد الفاصل بين ما كان عليه من الخضوع للأسياد والخوف من العباد والعيش فى ظلمات الجاهلية وآثامها، إلى رحابة الإيمان والخضوع للإله الواحد لا شريك له، الذى خلق العباد ورباهم بنعمه ظاهرة وباطنة فهو رب العالمين، إلى الاحساس بكرامته الإنسانية وهو يناجى ربه مباشرة دون واسطة أو شفيع، ويحس فى مناجاته لربه كأنما يرتفع من فوق هذه الأرض محلقا نحو السماء، فالناس من حوله هباء فى هباء، عبر بإيمانه إلى النور الذى أراه حقيقة الوجود وأنه خاضع للآله الواحد رب السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير، ومن ذلك اليوم الذى أسلم فيه قلبه وروحه وكل كيانه لله وحده أخذ «خباب» مكانه العالى بين المعذبين والمضطهدين، أخذ مكانه العالى بين الذين وقفوا – برغم فقرهم وضعفهم- يواجهون كبرياء قريش وجبروتها وتعذيبها. أخذ مكانه العالى بين الذين غرسوا فى قلوبهم بذور الإيمان الذى يبشرهم بعالم الله الذى يعبده الناس وحده مخلصين له الدين حنفاء.

فلم يكن هو وأمثاله من المستضعفين يخافون بطش المشركين من أهل مكة، ولم يكونوا يضعفون أمام تعذيبهم الذى تجاوز كل الحدود، ولم يكن إيمانهم يهتز لحظة مهما كانت عصيبة قاسية. الواحد منهم بفقره وضعفه يواجه قوى الشر صامدا محتسبا سعيدا بتضحياته لإعلاء كلمة الله التى ارتضاها لعباده، ويحدثنا «خباب» عن طرف مما لقيه من العذاب فيقول: لقد أوقدوا لى نارا فما أطفأها إلا ودك ظهرى. كانوا يلصقون ظهره العارى بالحجارة المحماة حتى ذهب لحمه وذاب عليها شحمه وهو صابر محتسب قوى الإيمان، لقد كان عذابه كبيرا ولكن مقاومته وصبره كانا أكبر من العذاب. ذهب «خباب» وبعض المعذبين إلى رسول الله ﷺ يقولون : يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟ فجلس ﷺ- وكان متوسدا بردة له فى ظل الكعبة- وقد احمر وجهه وقال :«لقد كان من قبلكم يؤخذ منهم الرجل فيحفر له فى الأرض ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من «صنعاء» إلى حضرموت لا يخشى إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» وعاش «خباب» إلى أن رأى سيادة هذا الدين ونوره يملأ الآفاق، وضرب المثل لكل المؤمنين أن هزيمة الكفر والظلم والطغيان لا تكون إلا بالتضحية والصبر والإيمان.

لم تزدهم الشدة إلا ثباتا

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن الإيمان له تبعاته ومسئولياته، وإن المؤمن الصادق هو الذى تظهر قوة إيمانه عند الاختبار، أما أولئك الذين يختارون جانب الله ورسوله والمؤمنين عندما تكون المكاسب والمغانم، فإذا أصابهم ضر بسبب إيمانهم خارت قواهم وضعفت نفوسهم فهؤلاء ليسوا من المؤمنين الصادقين أصحاب العزائم عند الشدائد الذين لا تزيدهم الأزمات إلا قوة وثباتا، والذين امتدحهم الله تعالى بقوله «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» لقد كان هذا النوع من المسلمين هو الغالب فى مجتمع الصحابة ومن حول رسول الله ﷺ، فما كانوا يرهبون كثرة العدو ولا قوة سلاحه إيمانا منهم بأن الله لا يخلف وعده وهو القائل :« كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز» والقائل « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز» وتحدثنا سير هؤلاء الأصحاب بالمواقف الإيمانية التى تجلت عندما تكاثر عليهم الأعداء وجمعوا جموعهم ليستأصلوا شأفة المسلمين ويستريحوا منهم كما يزعمون. فقد اتفق يهود بنى النضير مع القرشيين على أن يخرجوا لغزو المسلمين فى المدينة وقسموا أدوار الحرب بينهم وتجمعت القبائل المشركة لحرب المسلمين فى المدينة المنورة وفعلا خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة، وخرجت من الشرق قبائل غطفان، وبنو فزارة وبنو مرة وبنو أشجع وبنو أسد وغيرهم ووصلوا إلى المدينة فى غزوة

سميت غزوة الأحزاب، واشتد الأمر على المسلمين وقد حصنوا أنفسهم بحفر الخندق حول المدينة وظهر الغدر ونقض العهود من بنى قريظة وصار الموقف كما صوره القرآن الكريم فى قوله تعالى: «إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا» وأراد الرسول ان يكسر حدة هذا الموقف العصيب فاتصل بزعماء غطفان وتفاوض معهم على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة على أن يعودوا إلى ديارهم، ورضى سادة غطفان بذلك، ورأى الرسول أن يستشير زعيمى الأوس والخزرج وهما سعد بن معاذ وسعد بن عبادة. فماذا قالا: هنا تتحدث قوة الإيمان وعزة المؤمن بالله وثقته فيه قالا: يا رسول الله. أهذا أمر تختاره أم وحى أمرك الله به فنطيعه؟. قال الرسول: بل هو شىء اصنعه لكم لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة. قالا: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك وكانوا لا يطمعون أن يأكلوا تمرة إلا قرى أو بيعا. أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا به وبك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبيهم. ووافق الرسول وانتصرت قوة الإيمان وأعز الله جنده، وهزم الأحزاب وحده.

تاريخ مجيد يكتمه الحاسدون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن تاريخ الإسلام والمسلمين فى علاقاتهم بالدول والشعوب تاريخ مجيد يشهد لهم أنهم أهل وفاء وسماحة وبر، وأن صدورهم لا تضيق بمعايشة غير المسلمين معهم جنبا إلى جنب يرعون لهم ذمتهم، ويحافظون عليهم، ويحترمون حريتهم فى عباداتهم وعاداتهم لا يتعرضون لهم بسوء ولا يكلفونهم من أمرهم عسرا. ذلك كان شأن المسلمين يوم أن كانت لهم الدولة، ملأوا الأرض عدلا وحبا ورحمة وسماحة وحسن خلق، وكان ذلك سبيلهم إلى تأليف القلوب وتحبيب الناس فى الإسلام الذى تتجلى مبادئه السامية فى تصرفات المسلمين ومعاملاتهم وعلاقاتهم، وقد خسر العالم كثيرا حين زحزح المسلمون عن مكان القيادة والقدرة على حماية هذه المكارم. وحاول الحاقدون كتمان هذه المكرمات،، ولكن التاريخ يحدثنا عن أفعال المسلمين وأقوالهم يوم سيادتهم وكيف أمنوا غير المسلمين على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم وعقائدهم، وأعطوهم حرية الإقامة والتنقل والبيع والشراء والاكتساب فى ظل رعاية إسلامية تؤمنهم على كل شيء. وتعاليم دينية تجعل تأمين المخالفين فى الدين عبادة واجبة الأداء. وفى مقابل هذا العطاء وهذه الرعاية لا يكلف غير المسلمين إلا قليلا من المال يدفعونه جزاء ما يتحمله المسلمون من حمايتهم والدفاع عنهم وتأمينهم فى حياتهم وقد سمى الإسلام ما يدفعونه باسم «الجزية» ليحمل الاسم معنى الجزاء والمقابلة «هل جزاء الاحسان إلا الاحسان». ونسوق طرفا مما حدثنا به التاريخ فى هذا الشأن حسب ما يسمح به الوقت

والمقام.

ففى كتاب الخراج لأبى يوسف أنه قال فى خطابه لهرون الرشيد: « وينبغى يا أمير المؤمنين -أيدك الله- أن تتقدم فى الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ، والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من ظلم من أمتى معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه ». وكان فيما تكلم عمر بن الخطاب عند وفاته قوله: أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم ».

وجاء فى كتاب خالد بن الوليد الذى صالح به أهل الحيرة قوله « وشرطت عليهم أن عليهم عهد الله وميثاقه الذى أخذه أشد ما أخذه على أهل التوراة والانجيل ألا يخالفوا ولا يعينوا كافرا على مسلم من العرب ولا من العجم، ولا يدلوهم على عورات المسلمين.. وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله، ما أقام بدارالهجرةو دار الإسلام ».

هذا طرف من تاريخ المسلمين المجيد فى معاملة غير المسلمين بالعدل والرحمة لا ينقضون لهم عهدا ولا يخونون ذمة الله ورسوله ولا يفتنون أحدا عن دينه ولا يحملونهم ما لا يطيقون، ويحسنون إلى ضعفائهم، ويجعلون لهم نصيبا فى بيت مال المسلمين. فليسمع المنصفون وليسكت الحاسدون الحاقدون، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

حروب لها مبادئ وتقاليد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن الإسلام دين السلام يكره الحرب ولا يسعى إليها، ويكره إراقة الدماء إلا إذا اضطر المسلمون إليها، والحروب التى وقعت بين المسلمين واعدائهم من الكفار والمشركين كانت دفاعا عن الإسلام، واجهاضا لتعبئة معادية للمسلمين، وتأديبا لمن نقضوا العهود ومالأوا الاعداء، وتأمينا لدولة المسلمين ممن يتربص بها الدوائر، ولذلك يقول رسول الله ﷺ لأصحابه : « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله السلامة، وإذا لقيتموهم فاصبروا »

وعندما تقوم الحرب بين المسلمين وعدوهم، وتغلى الدماء فى الرؤوس والعروق، وتبلغ الضراوة مداها، فى هذا الموقف الرهيب الذى تسيل فيه الدماء وتتناثر الاشلاء ويحرص كل عدو على قتل عدوه - لا ينسى المسلمون تعاليم ربهم بعدم الاعتداء، ويمتثلون لقوله تعالى :« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» ويذكرون أمر الله لنبيه أن يجنح إلى السلم إذا رغب فيه أعداؤه المقاتلون « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ويذكر المسلمون فى حروبهم وصايا رسول الله ﷺ لهم بالا يقتلوا امرأة ولا وليدا ولا شيخا كبيرا أى أن الحرب قاصرة على المحاربين، أما المدنيون غير المقاتلين فلا يتعرض لهم أحد ولا تراق دماؤهم، فليست الحرب للابادة والخراب والتدمير، ولكنها فى

شريعة الإسلام ضرورة تقدر بقدرها، وبمقدار تحقيق أغراضها التى ذكرنا طرفا منها.

وفى قصة أبى دجانة ما يكشف عن مدى التزام المسلمين بأوامر الله ورسوله حتى فى أشد المواقف وأخطرها حين تحمر الحدق ويحمى وطيس الحرب وتتقارع السيوف فوق الرؤوس، ففى غزوة أحد التى أشعلها المشركون انتقاما لما أصابهم من الهزيمة فى بدر.. جرد رسول الله سيفا باترا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه، فقام إليه رجال ليأخذوه منهم على ابن أبى طالب، والزبير بن العوام وعمر بن الخطاب- حتى قام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال أن تضرب به وجوه العدو، قال: أنا أخذه بحقه يا رسول الله، فأعطاه إياه. وكان أبو دجانة رجلا شجاعا إذا عصب رأسه بعصابته الحمراء علم الناس أنه سيقاتل حتى الموت، وقد عصب رأسه بعدما أخذ سيف رسول الله وخاض غمار المعركة يهد صفوف المشركين هدا، حتى خلص إلى فارس يخمش الناس خمشا شديدا فحمل عليه بالسيف فإذا هو امرأة عرفها أبو دجانة من صوتها لما ولولت حين صار السيف فوق رأسها. قال أبو دجانة فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة، وكانت هذه المرأة هند بنت عتبة التى بقرت بطن حمزة عم رسول الله ﷺ وأخذت كبده ولاكتها فى فمها فلم تسغها ولفظتها. إن موقف أبى دجانة هذا موقف مسلم يتمسك بعدالة الإسلام وسماحته وسمو معاملته حتى مع الأعداء المقاتلين وفى أحلك المواقف.

حكمة الرسول فى هداية الضالين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن بعض الدعاة إلى الله يشتدون على الناس فى عباراتهم ويستعملون ألفاظا قاسية لم يستعملها رسول الله ﷺ فى الدعوة إلى الإسلام وتعليم الناس أحكامه وآدابه العالية وأخلاقه السامية، فلم يكن رسول الله ﷺ طعانا ولا لعانا ولا فاحشا ولا بذيئا ولم يكن يجزى السيئة بمثلها ولكن يجزى السيئة بالحسنة حتى جعل الله رسالته رحمة للناس أجمعين فقال جل شأنه «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» فالرسالة والرسول رحمة الله المهداة للعالمين، ولن يفلح داعية يتنكب منهج رسول الله ﷺ صائحا فى غير هدوء ولا وقار متجافيا سمت العلماء الأتقيا، والمصلحين الأصفياء، وقد قال رسول الله ﷺ : «إن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم.

وكانت طريقته ﷺ فى الدعوة إلى الله ومعالجة انحرافات الجاهلية تتسم بالرحمة والحرص الشديد على هداية الضالين حتى انه كان يحزن حزنا شديدا إذا لم يستجيبوا لله وللرسول خوفا عليهم وحرصا على نجاتهم من عذاب الله، وكان هذا الحزن الرحيم يؤثر فى نفسه الشريفة إلى قال الله تعالى له مشفقا عليه :«فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا» ولذلك كان من صفات الداعية المخلص لله فى دعوته أن يكون كلامه مع من يدعوهم نابعا من منطلق الحرص عليهم والرغبة فى

تحقيق الخير لهم، ليس فيه تهجم ولا إيذاء ولا تجريح لأحد، فقد كان النبى ﷺ إذا بلغه عن رجل شىء لم يقل ما بال فلان يقول كذا أو يفعل كذا؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟ وبذلك يؤدى النصيحة من غير فضيحة، ويرشد إلى القول والفعل الصحيحين من غير اساءة ولا تجريح، بل إنه كان يقابل الاخطاء الشديدة بالرفق واللين والرحمة فما يلبث المخطئ إلا أن يستجيب راضيا شاكرا سعيدا بالحنو عليه.

روى أبو أمامة – رضى الله عنه– أن غلاما شابا أتى إلى النبى ﷺ: فقال: يا نبى الله، أتأذن لى فى الزنا؟ فصاح الناس به. فقال النبى ﷺ: «قربوه. أدن. فدناحتى جلس بين يديه فقال ﷺ: «أتحبه لأمك؟» فقال: لا. جعلنى الله فداك. قال: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لابنتك؟ قال: لا. جعلنى الله فداك. قال: كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. أتحبه لاختك؟ حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحدة لا جعلنى الله فداك. وهو ﷺ يقول: كذلك الناس لا يحبونه. فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: «اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه، فلم يكن شىء أبغض إليه من الزنا» هذا منهج رسول الله ﷺ فى الدعوة إلى الله وفى مقاومة انحرافات الجاهلين. ولكم فى رسول الله أسوة حسنة.

إن الغضب من الشيطان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن كثيرا من الناس لا يتحمل أن يسيء أحد إليه أدنى إساءة، فنراه غاضبا متهددا متوعدا، وقد يلحق بالمسيء إليه أذى شديدا وهو ينتقم لنفسه وينفس عن غيظه، ومثل هذا الثائر الغاضب المنتقم لنفسه بعيد عن خلق الإسلام. فهولا يملك من العفو ما يجعله فى عداد المحسنين الذين قال الله تعالى فيهم: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» فكظم الغيظ والعفو عن الناس من درجات الاحسان والله يحب المحسنين، وقد دعا رسول الله ﷺ الناس إلى كظم الغيظ والعفو عند المقدرة فقال: «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه ملأ الله جوفه أمنا وإيمانا» وكان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه وجميع المؤمنين كيف يصلون إلى كظم غيظهم حتى ينالوا محبة الله ورضاه فيقول لهم: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» وهذا توجيه من رسول الله لأولئك الذين يستبد بهم الغضب حتى لا يسوقهم الغيظ إلى الآثار المدمرة من فراق زوجته وتشريد ابنائه وخراب بيته وتحقير الناس لمسلكه وغير ذلك من المآسى التى تترتب على الاستسلام للغضب والاستجابة لدواعيه والغضب من الشيطان كما قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من

الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » هذا علاج نبوى لحالات الغضب التى تتملك بعض الناس وقد تدمر حياتهم وحياة غيرهم، وكان رسول اللهﷺ لا يغضب لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة من محارم الله فينتقم لله تعالى . فعن أنس رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبىﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء» متفق عليه . لقد أساء الاعرابى فى الفعل واغلظ فى القول، وكان ﷺ قادرا على زجره أو معاقبته على عدوانه ولكنه وهو الأسوة الحسنة والرحمة المهداة لم يكتف بأن يكظم غيظه ويعفو عنه ولكنه أحسن إليه وأمر له بعطاء فكان محسنا كما أمره الله « والله يحب المحسنين » .

حكمة الدعاة إلى الله

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد

فإن الدعوة إلى الله تعالى والإيمان به والخضوع لسلطانه واعتقاد أن رسول الله محمدا ﷺ قد بعثه الله هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وأن رسالته هى الرحمة المهداة للعالمين أجمعين «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» هذه الدعوة من أشرف المهام التى يقوم بها الإنسان فالله تعالى يقول :«ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين» وقد جاءت رسالة محمد ﷺ مؤيدة لرسالات الأنبياء قبله، وقد سجل القرآن الكريم أخبار هذه الرسالات، وقص على المسلمين ما كان من شأن الرسل مع أقوامهم، وكيف كان عاقبة المتقين، وكيف كان عاقبة المكذبين، وجعل الله فى هذا القصص دروسا للناس يستفيدون منها ويقتبسون من بين سطورها عبرة وحكمة وأسوة حسنة، ومن بين ما يقتبسه الدعاة إلى الله من هذا القصص ما جاء فى التوجيه الإلهى لموسى وهارون عندما أرسلهما إلى الطاغية فرعون، إذ أمرهما ربهما بدعوته بالقول اللين لعل ذلك يكسر من حدة طغيانه وجبروته. فقال الله لهما «اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى» فمع أن فرعون قد طغى فى البلاد وأكثر فيها الفساد كما ذكر الله ذلك فى قوله :«وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد» مع أن فرعون ادعى

الربوبية لشعبه «فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى» مع كل هذا الجبروت والطغيان من فرعون وملئه يأمر الله موسى وهارون أن يقولا له قولا لينا.
وقد استجاب موسى عليه السلام لما أمره الله به، فنجده فى دعوته فرعون إلى الإيمان بالله رب العالمين هادئ العبارة رابط الجأش واثقا من وعد الله له ولأخيه بالنصر والغلبة فى قوله :«اذهبا بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون» ونراه فى محاورته لا يخرج عن هدف الدعوة مهما حاول فرعون أن يخرجه وأن يسلك به المسالك الملتوية التى يضيع فيها كمال القصد ووضوح الهدف إذا التفت موسى إلى تلك المسالك أو القى إليها بالا :«قال فرعون وما رب العالمين. قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين» تعريف قوى وصريح برب العالمين الذى خلق السموات والأرض وما بينهما، وليس لفرعون الذى ادعى بأنه الرب الأعلى ذرة قدرة على ذلك، فبماذا يرد فرعون «قال لمن حوله ألا تستمعون» استهزاء المبطلين الذين لا يجدون حجة ولا قولا مفيدا، ويستمر موسى :«قال ربكم ورب آبائكم الأولين» تعريف آخر صريح وواضح فيلجأ فرعون إلى الاهانة والرمى بالجنون :«قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون» ولا يعبأ موسى بهذا الادعاء وهذه الاهانة ويستمر فى دعوته لا يحيد عنها :«قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون» ويجن جنون فرعون من هذا الاستمرار فى الدعوة فيلجأ إلى التهديد :«قال لئن اتخذت إلها غيرى لاجعلنك من المسجونين» وتمضى القصة التى تعلم الدعاة إلى الله اللين فى القول والاستمرار فى الدعوة والاصرار على التبليغ والعاقبة للمتقين.

منهج الصحابة فى الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فقد مدح الله أهل العلم، ورفع منزلتهم، وأعلى شأنهم، وجعلهم لا يستوون فى المقام والقدر مع أولئك الذين لا يعلمون. فقال جل شأنه :«قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر أولو الألباب» وقال سبحانه : «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات». وجعل العلماء هم أهل خشيته سبحانه فقال :«إنما يخشى الله من عباده العلماء» وقد كان كبار الصحابة من العلماء الذين يخشون ربهم ويخافون أن يقولوا فى دين الله بغير علم، أو أن يتعجل أحدهم الفتيا فى أمر لا يثق بصحة قوله فيه، ولأجل ذلك كان بعضهم مع غزارةعلمه، وجلالة قدره، يحيل السائل إلى غيره، لعل الله يعفيه من الفتوى خشية الخطأ فيها، فمن شدة تقديرهم للمسئولية كانوا يتحرجون من الفتيا، وكان اجتهادهم فى المسائل التى تقع فعلا، فلم يكونوا يفترضون المسائل ويبحثون عن أحكامها كما فعل المتأخرون، وكانواكثيرا ما يتشاورون ويتناظرون فى فهم الأدلة والنصوص سعيا للوصول إلى الحق والاقتناع برأى يجمعون عليه ويعتقدون صوابه، وكان هذا المسلك من صحابة رسول الله ﷺ نابعا من إيمان قوى واخلاص لله، وبعد عن الهوى والرياء والمباهاة، ورغبة فى الوصول إلى الحق، وقد اشتهر فى مدينة رسول الله ﷺ كثير من فقهاء الصحابة ومنهم عبد الله بن عمر، ومع شهرته فى العلم ومعرفة حديث رسول الله ﷺ وقدرته العلمية على استنباط الأحكام من أدلتها-

لم يكن يتحرج من أن يقول لا أدرى، إذا لم يكن عنده علم فيما سئل فيه .

قال الزهرى عن خالد بن أسلم : خرجنا مع ابن عمر نمشى فلحقنا أعرابى فقال : أنت عبد الله بن عمر؟" قال : نعم . قال : سألت عنك فدللت عليك فأخبرنى : أترث العمة؟ قال ابن عمر :لا أدرى . قال الأعرابى : أنت لا تدرى!! . قال نعم . اذهب إلى العلماء بالمدينة واسألهم . فلما أدير قبل يديه، وقال : نعما قال أبو عبدالرحمن –يقصد نفسه– سئل عما لا يدرى فقال : لا أدرى . من كان عنده علم فليقل به، ومن لم يكن عنده علم فليقل الله أعلم . فإن الله قال لنبيه :« قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين» .

هذا منهج كبار العلماء من صحابة رسول الله ﷺ ، فأين ذلك من أنصاف المتعلمين الذى يخبطون بغير علم، ويقولون ما لا يعلمون ويتحملون أوزار الذين يضلونهم، ويتكلفون ما لا يطيقون . وقد أحدثت أقوالهم الجاهلة اضطرابا فى فهم الدين، واختلافا وتنازعا بين المسلمين، واختلاطا للحق بالباطل، وفى الحديث الشريف :« إن الله لا ينتزع العلم من الصدور انتزاعا، ولكن ينزعه بموت العلماء، فإذا مات العلماء اتخذ الناس رؤوسا جهالا يفتونهم بغير علم فيضلون وبضلون »

إن منهج الصحابة فى الفتيا منهج سديد قويم يقتدى به أهل العلم الذين يرجون النجاة فى دينهم ودنياهم .

الاجتهاد فيما لا نص فيه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن الله تعالى خلق الإنسان فى أحسن تقويم، وميزه بالعقل الذى هو مناط التكليف، والذى يميز به الإنسان بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين النافع والضار، والذين لا يستخدمون عقولهم يعيشون فى حياتهم كما تعيش الانعام بل هم أضل سبيلا .

وقد أمر الله عباده أن يستعملوا عقولهم وأن يفكروا فيما خلق الله فى السموات وفى الأرض من آيات تهدى أولى الألباب إلى وحدانية الخالق وعظمته وابداعه واستحقاقه العبادة وحده لا شريك له « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » . « وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون » وحكى القرآن الكريم حسرة الذين عطلوا عقولهم حين يرون العذاب يوم القيامة . « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير » .

فالإنسان مدعو فى شريعة الإسلام إلى التفكير واستخدام عقله ودراسة الكون من حوله والاجتهاد فى معرفة الحق والصواب فى الأمور التى لم يرد فيها نص صريح من كتاب الله وسنة رسوله، واستحضار القواعد الكلية فى شرع الله لمعرفة أحكام الحوادث الجزئية التى تتوالى فى حياة البشر مع تطور المجتمعات، وهو مكلف أن يتخذ من وسائل العلم والمعرفة ما يجعله أهلا لهذا الاجتهاد، وألا يقحم نفسه فى القول بغير علم، فإن ذلك يسوقه

إلى الافتراء على الله، « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » .

وقد اجتهد صحابة رسول الله ﷺ فى أمور كثيرة مما لا نص فيه من كتاب الله أو سنة رسوله ورأوا أن ذلك من واجبات الدين، ومن مقتضيات نعمة العقل التى أنعم الله بها عليهم، واختلفت آراؤهم فيما اجتهدوا فيه، فلم يعب أحدهم على الآخر، ولم يسفه رأيه وقوله، فإن مساحة التفكير التى أعطاها الله للإنسان تسمح بالاختلاف فى الرأى، وإقامة الدليل على ما يعتقد أنه الحق والصواب .

وقد اختلف أبو بكر وعمر فى الرأى المبنى على الاجتهاد فلم يضعف ذلك من احترام كل منهما لصاحبه، وتقديره لعلمه وفضله، وثنائه عليه فيما رآه، وذلك خلق الصادقين فى إيمانهم، المخلصين فى أقوالهم وأفعالهم، الراغبين فى ثواب الله دون مراءاة أو مباهاة بما فتح الله به عليهم .

اختلف رأى أبى بكر ورأى عمر فى معاملة أسرى بدر، فكان أبو بكر يرى أخذ الفداء منهم، بينما رأى عمر أن يقتلوا انتقاما منهم لما أقدموا عليه من مناهضة الدعوة وقتال المؤمنين، واختلف رأى أبى بكر وهو فى خلافته عن رأى عمر فى أعطيات المسلمين من بيت المال، فكان أبو بكر يرى أن يسوى بينهم فى العطاء ويترك تفاضلهم فى الإيمان والجهاد إلى ثواب الله، ورأى عمر بن الخطاب أن يفاضل بينهم فى العطاء، وكان يقول : لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه . ولكل منهما وجهة نظر معتبرة شرعا، ولم يفسد الاختلاف فى الرأى ما بينهما من أخوة فى الله وتعاون فى نصرة دينه واحترام وتقدير متبادل .

من رغب عن سنتي فليس مني

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد

فإن الإسلام دين السماحة واليسر، فما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ ويقول: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾.

وإن الذين يتشددون فى أمور الدين ويحملون أنفسهم فى العبادة ما لا يطيقون يعيدون عن منهج الإسلام وسماحته، وكذلك الذين يضيقون على الناس ما وسعه الله عليهم ويدعونهم إلى هجر ما أحل الله من الطيبات، هم قوم منفرون، يحملون الناس على كراهية الإسلام وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، والرسول ﷺ يقول عن هؤلاء «إن منكم منفرين» وقد عاب الله هذا التشدد الذى يبعث فى النفوس السآمة والملل، ويحرم زينة الحياة وطيباتها فقال جل شأنه: ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق..﴾ ثم يقول: ﴿قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾. فالإسلام يحب التوسط فى الأمور كلها فلا افراط ولا تفريط؛ لا إفراط بالتشدد فى العبادة والتقشف فى الحياة وهجر الطيبات من الرزق مما يبعث الملل والسآمة فى

النفس، ولا تفريط بتضييع الفرائض والاستهانة بالنوافل والاستغراق فى الملذات، فكلا الأمرين مذموم وخير الأمور أوسطها. والله تعالى يقول عن أمة الإسلام: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» والفضائل كلها فى الوسط فكل فضيلة وسط بين رذيلتين. «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا». «والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما». وقد حدثنا أنس بن مالك عن ثلاثة رجال جاءوا إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها- أى رأوها قليلة- فقالوا أين نحن من رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا- يعنى أنه يتهجد بالليل ولا ينام- وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر- يعنى أنه يصوم كل الأيام صياما متتابعا- وقال آخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج. فجاء رسول الله ﷺ. فقال: «أنتم قلتم كذا وكذا، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له. ولكنى أنا أصلى وأنام، وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى» متفق عليه. والحديث دليل على سماحة الإسلام ويسر تكاليفه وعلى خطأ المتشددين وعيب مسلكهم. ولكم فى رسول الله أسوة حسنة.

والله ما هـذا بمـلك

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فبعد أن جاء نصر الله والفتح، لم يكن لرسول الله ﷺ أن يترك الأصنام تعبد فى جزيرة العرب، فما كان النصر فى المعارك إلا وسيلة لتطهير الدنيا من أرجاس الوثنية الجاهلية وعبادة غير الله الواحد القهار، ولذلك خرجت كتائب المسلمين وسراياهم لتحطم الأصنام وترفع راية التوحيد ولتخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الجهل والكفر إلى العلم والإيمان، وكان من بين هذه الكتائب المجاهدة كتيبة فيها مائة وخمسون مجاهداً تحت إمرة على بن أبى طالب ومعه راية الإسلام، وذهبت الكتيبة إلى بلاد حائل لتهدم بيت أصنامها الأكبر الذى بنته قبيلة طىء واتجهت إليه تعبده من دون الله، وفر سيدها عدى بن حاتم الطائى هربا من جيوش المسلمين إلى الشام وقد أعجلته المفاجأة فترك أختًا له وقعت فى السبى مع غيرها، وعادت خيول المسلمين بالنصر والغنائم والأسرى. ووضعت السبايا من النساء فى بيت قريب من المسجد النبوى، وسار رسول الله ﷺ إلى السبايا يرى ويسمع ما يكون من مظلمة لهن ومعه على بن أبى طالب، فمر الرسول بأخت عدى فقامت إليه وقالت: يا رسول الله. هلك الوالد وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك. فقال صلوات الله وسلامه عليه: من وافدك؟ قالت: عدى بن حاتم. فقال: الفار من الله ورسوله، وفى الغد وبعد الغد تكرر هذا الموقف فقال لها رسول الله ﷺ: قد فعلت. فلا تعجلى بالخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقةً حتى يبلغك إلى بلادك.

وتقول إحدى الروايات: إن الرسول ذكر مكارم أخلاق ابيها وقال لها: لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه. وعندما وجدت قافلة من قومها كساها الرسول وأعطاها نفقة ووهبها راحلة تركبها، ووصلت ابنة حاتم إلى أخيها، وبعد عتاب غاضب معه لأنه أخذ أهله وتركها قالت له بعد ما هدأت نفسها: يا عدى أرى أن تلحق به سريعًا، فإن يكن نبيًا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكًا فلن تذل عنده. ووصل عدى فى أهله وولده وماله إلى المدينة ودخل على رسول الله فى مسجده مع أصحابه وهو يردد: يا محمد. فيقول الرسول: من الرجل؟ فيقول: عدى بن حاتم، ويصافح الرسول عديا ويأخذه إلى بيته وفى الطريق تستوقف امرأة عجوز ضعيفة رسول الله ﷺ تكلمه فى حاجتها ويطول وقوفه وهو مصغ إليها. ويقول عدى فى نفسه: والله ما هذا بملك. وفى البيت يقدم الرسول إلى عدى وسادة من أدم حشوها ليف ليجلس عليها ويجلس هو على الأرض. فيقول عدى ثانية: والله ما هذا بملك. ثم يدعوه الرسول إلى الإسلام فيبادر إليه لما رآه من تواضع رسول الله ﷺ وزهده فى حياته، وتسلم قبيلته بإسلامه، تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن ما جاء به هو الحق المبين وأنه رحمة الله للعالمين.

إسلام عدى بن حاتم ووفاؤه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن سيرة رسول الله ﷺ فى دعوته إلى الإسلام، ورحمته بالناس، وعفوه عند المقدرة، وإحسانه إلى من أساء، كان ذلك وغيره من مكارم أخلاقه كفيلاً بأن يرد الشارد المعادى إلى الإسلام، وأن يعالج أدواء البغض والكراهية لهذا الدين، وأن يحول أشد الناس عداوة إلى صديق وحبيب وولى حميم. من أمثال ذلك ما قاله عدى بن حاتم عن نفسه، فقد ورث عدى الرئاسة فى قومه بنى طيء بعد أبيه حاتم الذى كان مضرب المثل فى الجود والكرم، ولما ظهر دين الإسلام كره عدى هذا الدين خوفًا على رئاسته فى قومه، وفى السنة التاسعة من الهجرة فتح الله بلاد طيء على المسلمين وفر عدى هاربًا إلى الشام، وكان من بين الأسرى الذين نقلوا إلى المدينة امرأة كبيرة السن هى أخت عدى وابنة حاتم الطائى، وبينما هى مع رفيقاتها فى السبى، إذ مر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على، من الله عليك. فقال: ومن وافدك؟ قالت: عدى بن حاتم. قال: الفار من الله ورسوله؟ وفى الغد حدث مثل ذلك وبعد الغد رق رسول الله ﷺ لحالها، ومن عليها وجهزها والحقها بأهلها. فلما لحقت بأخيها فى الشام ذكرت له ما كان من خلق رسول الله ﷺ وعطفه وكرمه، ودعته أن يلحق برسول الله فى المدينة فإنه لن يجد عنده إلا خيراً. وجاء عدى إلى مسجد رسول الله بالمدينة المنورة، ومثل بين يدى رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه، وجعله رسول الله على صدقات قومه

الذين أسلموا بإسلام رئيسهم عدى بن حاتم الطائى، ومرت الأيام وتوفى رسول الله ﷺ وتولى الخلافة أبو بكر الصديق وارتد بعض العرب ومنع بعضهم الزكاة، واجتمعت طيء إلى عدى تطلب إليه أن يحبس صدقاتهم ولا يرسلها إلى المدينة كما فعل غيرهم من الناس. فقال عدى: ألم تعطوا العهد طائعين غير مكرهين؟ قالوا: بلى قال عدى: والذى نفس عدى بيده لا أخيس بها أبدا، فإن أبيتم فوالله لأقاتلنكم ولأكونن أول قتيل يقتل على وفاء ذمته، فلا تطمعوا أن يسب حاتم فى قبره، وعدى ابنه من بعده؛ وما زال بهم حتى استجابوا له وحفظوا عهدهم لله ورسوله. وشكر الله له هذا الموقف، وقال له عمر بن الخطاب حين رآه: إنى أعرفك والله. أسلمت إذ كفروا، ووفيت إذ غدروا، وأقبلت إذ أدبروا رحم الله عديًا فى الصادقين الأوفياء.

دلـونى علـى السـوق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . . وبعد

فإن صحابة رسول الله من المهاجرين والأنصار - ارتقوا إلى القمة الشامخة من صفات المؤمنين وعزة المجاهدين وإخلاص العاملين، وقد صاغتهم تعاليم الإسلام وآدابه صياغة جعلتهم الهداة المهديين، والنجوم الزاهرة فى دنيا أظلمت بالفسق والفجور وظلم الأقوياء وعجز الضعفاء وعبادة غير الإله الواحد القهار . إن فى سيرة هؤلاء الأصحاب ما يجعل المسلمين يعتزون بأمجاد هؤلاء الأماجد، ويفخرون بأن لم يكن من أصحاب الأنبياء السابقين من يدانيهم فى الإيمان بربهم وحب نبيهم والاستجابة لما جاءهم به والتمسك بتعاليم الإسلام وتطبيقها ولو كثرت المتاعب واشتدت المصاعب وتكاثرت الأهوال وزادت التضحيات . لقد تفوق هؤلاء الأصحاب الكرام على أنفسهم فهزموا فيها دواعى الأنانية والبخل ونزعات الحسد والغل والكبر وحب الدنيا وزينتها بكل ما يجليه من شرور وآثام .

هاجروا فى سبيل الله تاركين وطنهم وديارهم وأموالهم، مقدمين على حياة جديدة عليهم وقد طردوا من أنفسهم الخوف والقلق من مستقبل الأيام فهم أهل الإيمان والثقة فى الله ورسوله . وعندما وصل المهاجرون إلى المدينة واستقبلهم إخوانهم الأنصار استقبال الأخ لأخيه، جرى نهج الرسول حينئذ أن يؤاخى بين كل اثنين من أصحابه أحدهما مهاجر من

مكة والآخر أنصارى من المدينة، ويومئذ آخى الرسول الكريم بين عبد الرحمن بن عوف المهاجر وسعد بن الربيع الأنصارى. وقال سعد لعبد الرحمن: أخى. أنا أكثر أهل المدينة ما لا وتحتى امرأتان فخذ نصف مالى وأنظر أيتهما تعجبك أطلقها لك وتتزوجها. وفى إباء كريم ونفس عزيزة قال عبد الرحمن: «بارك الله لك فى أهلك ومالك» دلونى على السوق. وخرج عبد الرحمن إلى السوق فاشترى وباع وربح وعرف كيف يطبق تعاليم الإسلام فى معاملاته فكان صادقًا أمينا سمحًا فى بيعه وشرائه صدوقًا لا يغش ولا يخدع ولا يحلف على ثمن سلعة، وراجت تجارته حتى صار أكثر المهاجرين ما لا وثراء، حتى إن سبعمائة راحلة محملة بالطعام والكساء والأرزاق تدخل المدينة قادمة من الشام كإحدى تجارات عبد الرحمن بن عوف، فيخاف عبد الرحمن أن يكون الله قد عجل جزاءه فى الدنيا وهو من السابقين الأولين المجاهدين. فيعلن أن هذه القافلة بإحمالها واقتابها وأحلاسها فى سبيل الله، ووزع حمولة سبعمائة راحلة على أهل المدينة وما حولها فى مهرجان بر عظيم. أليس عبد الرحمن بن عوف واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ الذين صاغهم الإسلام صياغة بقيت ذكراها على مر الأزمان نوراً يهتدى به من شرح الله صدره للإسلام.

القلادة والأسير

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فقد اختارت السيدة خديجة زوج الرسول - ابن أختها أبا العاص بن الربيع ليكون زوجًا لكبرى بناتها زينب بنت محمد، وبارك الرسول هذا الزواج وزفت العروس إلى زوجها الفتى القرشى النبيل ابن خالتها، وأهدت السيدة خديجة لابنتها قلادة كانت تحلى بها جيدها فآثرتها على نفسها، وعاش الزوجان فى أطيب عيش وأكرمه، وأسلمت زينب ولم يسلم زوجها أبو العاص بن الربيع، وحاولت قريش معه أن يفارق بنت محمد الذى يسفه أحلامهم ويعيب آلهتهم فأبى، واكتفى بأن يكون محايداً بين محمد وقومه لا يعينه ولا يعين عليه، حتى إذا اشتد إيذاء قريش وأذن الله لرسوله والمؤمنين بالهجرة هاجر رسول الله ﷺ إلى يثرب تاركًا زينب وزوجها فى مكة وانقضى عام بعد الهجرة، وخرجت قريش فى العام الثانى بخيلها وخيلائها تحاد الله ورسوله وتسعى إلى إبادة المسلمين والقضاء على هذا الدين الذى كفرت به وحاربته وآذت أصحابه، وخرج معهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ يدفعه فى ذلك نخوة وحمية جاهلية لمؤازرة قومه وعدم التخلف فى أول معركة لهم مع المسلمين، ودارت المعركة فى بدر فى شهر رمضان فى العام الثانى من الهجرة، وكبت الله المشركين وأذلهم وهزمهم وكان أبو العاص من بين الأسرى فقد أسره عبد الله بن جبير الأنصارى، وعلمت زينب بما جرى لزوجها فأرسلت قلادتها التى أهدتها لها أمها خديجة ليلة زفافها لتفك بها أسر زوجها

ووصلت القلادة إلى المدينة وسلمها القادم بها إلى رسول الله ﷺ فعرفها: إنها قلادة زينب، وقد كانت تحلى جيد خديجة أول مؤمنة مجاهدة فى الإسلام، فرق قلب الرسول الله رقة عظيمة وقال لصحابته: لو رأيتم أن تفكوا أسيرها وتردوا عليها قلادتها؟

فاستجاب الصحابة لأمر رسول الله وأطلقوا سراح الأسير ورد الرسول قلادة زينب إليها، وأخذ الرسول العهد على أبى العاص أن يخلى سبيل ابنته زينب لتهاجر إلى المدينة لتقيم فى دار الإسلام مع أبيها والمسلمين، وقد وفى الأسير بعهده وجاءت زينب إلى المدينة لتقيم فى دار الإسلام مع أبيها والمسلمين، ومرت أربع سنين ثم جاء أبو العاص مسلمًا مهاجرًا فرد الرسول عليه زوجته وعاشت زينب مع زوجها ابن خالتها حتى توفاها الله. ما أكرم زينب وهى تفدى زوجها بقلادتها، وما أكرم الصحابة الذين فكوا إسار زوجها بغير فداء، وما أعظم رقة قلب رسول الله، وما أحسن ما انتهت به الأحداث من إسلام أبى العاص وعودة زوجه إليه وجهاده فى سبيل الله مع المجاهدين. ورحم الله زينب مع الذين أنعم الله عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقًا.

إن استطعت ألا تكون أميراً فافعل

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

تولى هارون الرشيد الخلافة ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة للهجرة وكان يكنى أبا جعفر هارون بن المهدى محمد بن المنصور. قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء، كان الرشيد يحب العلم وأهله ويعظم حرمات الإسلام، وكان يبكى على نفسه وعلى إسرافه وذنوبه سيما إذا وعظ، وكان يأتى بنفسه إلى بيت الفضيل بن عياض، وكان الفضيل يخلص له النصيحة والموعظة. ذهب يومًا وهو فى منى بعد أن أدى فريضة الحج ومعه وزيره الفضل بن الربيع - ذهب إلى الفضيل يسأله الموعظة فقال الفضيل: إن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضى عنه لما ولى الخلافة - دعا سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن كعب القرظى، ورجاء بن حيوة. فقال لهم: إنى ابتليت بهذا البلاء فاشيروا على، فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة. فقال له سالم: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أبا، وأوسطهم عندك أخا،وأصغرهم عندك ولداً، فبر أباك، وأرحم أخاك، وتحنن على ولدك. وقال رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غدا من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت متى شئت. وإنى أقول هذا وأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام فهل معك -رحمك الله- مثل هؤلاء القوم ومن يأمرك بمثل هذا؟». فبكى الرشيد بكاء شديداً، فقلت للفضيل: ارفق بأمير المؤمنين. فأجابنى: يابن

الربيع قتلته أنت وأصحابك وأرفق أنا به. ثم قال هارون زدنى. فقال الفضيل: يا أمير المؤمنين إن العباس عم النبى ﷺ جاء إليه فقال: يا رسول الله أمرنى إمارة، فقال النبى ﷺ: «يا عباس، نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت ألا تكون أميراً فافعل». فبكى هارون بكاء أشد من الأول ثم قال للفضيل: زدنى يرحمك الله. فقال: يا حسن الوجه، أنت الذى يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل. وإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش لرعيتك، فإن النبى ﷺ قال: «من أصبح غاشاً لرعيته لم يرح رائحة الجنة»، فبكى الرشيد بكاء شديداً وحاول مكافأة الفضيل فاعتذر ولم يقبل منه عطاء، وهكذا كان موقف الفضيل بن عياض مع هارون الرشيد موقف الناصح الأمين كأحد علماء المسلمين الاتقياء. وهكذا كان سعى أمراء المؤمنين إلى العلماء يطلبون النصيحة ويحسنون الاستماع ويتأثرون بها فيبكون بكاء يطهر القلوب ويغسل الآثام ويكون عهداً مع الله على التفانى والإخلاص فى إصلاح أمور الرعية والنصح لله ورسوله.

أمر الله فوق كل أمر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن الله تعالى يختبر عباده المؤمنين ليكشف فى عالم الشهادة والظهور حقيقة ما هم عليه من قوة الإيمان أو ضعفه، ومن الاستجابة لله ورسوله أو الاستجابة لمطالب الدنيا وزينتها، ويأتى اختيار الله لعباده على صور شتى، منها أن يضع الله الإنسان الذى يختبره فى موقف يكون الاختيار فيه بين تحقيق المنافع الدنيوية مع إغضاب الله تعالى، وبين إيثار ما عند الله من ثواب مع إهدار منافع الدنيا ووجاهتها فالسعيد هو الذى ينجح فى الاختبار ويظهر صدق إيمانه وقوة اعتصامه بالله، واختياره ما عنده فيكون فى جانب الحق الذى يرضى الله تعالى قولاً وعملاً، غير مكترث بخسارة مادية أو معنوية، وغير معتبر لرضاء الناس فى مقابل رضاء الله تعالى.

وهو القائل سبحانه «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين». أى أن الله يختبر الناس بأنواع الابتلاء والاختبار والنوازل والمواقف التى يظهر بها صدق إيمان الصادقين وكذب الكاذبين وتلك سنة الله فى عباده السابقين وهى سنته فى أمة محمد ﷺ، ونسوق موقفًا لعالمين جليلين آثر أحدهما الملاينة والمهادنة من غير تفريط فى حق الله، وآثر الآخر كلمة الحق فى صراحتها ووضوحها بغير خشية ولا تردد.

فقد أرسل ابن هبيرة وإلى أمير المؤمنين يزيد على العراق إلى العالمين

الجليلين الشعبى والحسن البصرى، وسألهما قائلاً: قد يحدث أمر من بعض الرعية فأغضب عليه وأؤخر عطاءه بعض الوقت تأديبًا له وفى نيتى أن أرده عليه، فيبلغ أمير المؤمنين ذلك فيكتب إلى ألا أرده، فلا أستطيع رد أمره، ولا إنفاذ كتابه. فقال الشعبى: قارب وسدد إنما أنت عبد مأمور. فسر ابن هبيرة لذلك وقال: الحمد لله. ثم سأل الحسن البصرى فقال له: إن حق الله ألزم من حق أمير المؤمنين. والله أحق أن يطاع، فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله فإن وجدته موافقًا فخذ به وإن وجدته مخالفًا فانبذه، فإن أمر الله فوق كل أمر، وإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وإنى أحذرك بأسه الذى لا يرد عن القوم الظالمين. فقال ابن هبيرة صدقنى الشيخ واستحسن قوله. وقال الشعبى: فعاهدت الله ألا أشهد سلطانًا بعد هذا فأحابيه.

وهكذا انتصرت الصراحة على المحاباة. والدين النصيحة.

وفـاء لا غـدر فيـه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن الإسلام دين الوفاء بالعهود، وحفظ الأمانات، ومن تعاليمه فى الكتاب الكريم قول الله تعالى: «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا» وقد حرم الإسلام على أتباعه أن ينقضوا عهداً يقطعونه، أو يبطلوا أمانا يعطونه، أو يجنحوا إلى الخيانة ويبعدوا عن العدل مهما كانت الدواعى، ومهما كانت البغضاء التى يؤجج الأعداء نيرانها فى الصدور، فالله سبحانه وتعالى يقول: «ولا يجرمنكم شنآن قوم -أى بغض قوم- على ألا تعدلوا. اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون» وقد ضرب الله للمسلمين المثل الذى ينفرهم من نقض العهود ويبين لهم أن الذين ينقضون عهودهم لا يستقيم لهم أمر ولا ترتفع لهم رأية ولا يكتمل لهم بنيان ولا تستقر لهم حياة. فقال جل شأنه: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون. ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم» ففى هذه الآية الكريمة بعد أن أمر الله المسلمين بالوفاء بعهودهم شبه الناقضين للعهد بامرأة خرقاء جاهلة كلما قارب غزلها ونسيجها على الاكتمال نقضته وأحبطت بذلك جهدها وعملها، فهى لا تستريح من عناء العمل ولا تجنى إلا الخسارة والندامة فى حياتها. وقد وعى المسلمون هذه الدروس وتأكدت لديهم فى سيرة رسول الله وعهوده وفى سيرة خلفائه الراشدين وصحابته الأكرمين حتى صار

الوفاء بالعهد خصيصة هذه الأمة التى لا تفارقها مهما كانت الظروف، وكانت مواقفهم مع الآخرين شاهدة بإقامتهم للعدل ووفائهم بالعهد . فقد كان بين معاوية رضى الله عنه وبين الروم عهد إلى مدة معينة فلما قارب أجل العهد على الانتهاء أراد معاوية أن يقترب من ديارهم بجيشه حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فإذا شيخ على دابة يقول : الله أكبر الله أكبر، وفاءً لا غدراً .

إن رسول الله ﷺ قال : « من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة، ولا يشدها حتى ينقضى أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء » فبلغ ذلك معاوية فرجع ، فإذا بالشيخ عمرو بن عنبسة رضى الله عنه . وكانت هذه الدعوة وهذا الامتثال استجابة لقول الله تعالى : « وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » وسجل التاريخ وشهدت الدنيا وفاء المسلمين بعهودهم واستجابتهم لأمر ربهم ونصائح نبيهم ولا يزالون على هذا النهج القويم .

الشدائد تظهر عزائم الرجال

عندما تشتد المتاعب وتزداد المصاعب وينزل الخوف بالقلوب تظهر معادن الرجال فمنهم من لا يتحمل الموقف فينهزم مؤثراً سلامته ونجاة بدنه ومنهم من يكون راسخ الإيمان قوى الجنان لا تزلزله الخطوب ولا يهاب الموت فى سبيل أن ينصر عقيدته فالموت الكريم فى ميدان الجهاد خير من حياة ذليلة كحياة العبيد .

تجلت هذه المعانى فى غزوة حنين التى تألبت فيها قبائل هوازن وثقيف ونصر وجشم وتجمعت لقتال النبى والمسلمين بعد أن فتح الله عليهم مكة، فقد غاظ هذه القبائل المجاورة لمكة أن يصبح البلد الحرام تحت سلطان المسلمين وأن تعمر ربوعه دعوة الإسلام التى طالما حاربتها هذه القبائل وكرهت الدخول فيها .

وعلم الرسول القائد ما تنوى عليه هذه القبائل من قتال المسلمين والهجوم عليهم فبعث من ينادى فى الناس بالجهاد، وسرعان ما تجمع المسلمون الذين دخلوا الإسلام بعد فتح مكة، وتحرك جيش المسلمين فى عدده الكثير وعتاده الوفير حتى أخذ الزهو بعض رجاله فقال : « لن نغلب اليوم من قلة » وظن هؤلاء أن النصر بالعدد والعدة ونسوا تأييد الله لدينه الحق ونصره لعباده المؤمنين الذين تسلحوا بالإيمان بالله واليقين بما عند الله وما وعد به المجاهدين فى سبيله « وكان حقًا علينا نصر المؤمنين » وكان من عاقبة هذا الزهو بكثرة الجيش وعتاده أن لقنهم الله درساً أعادهم إلى

الإيمان بأن النصر من الله « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » فما إن وصلوا إلى ميدان المعركة حتى أمطرتهم القبائل بالنبال من كل جانب، وفوجئوا بأشباح المنية تحيط بهم فانخلعت قلوبهم وولوا الأدبار دون أن يحدث اشتباك بينهم وبين العدو. وهنا تجلت العزائم الصادقة وظهر الإيمان الذى يطاول الجبال فى ثباته ورسوخه وكان النبى ﷺ فى القمة من هذه العزائم فظل ثابتاً فى مكانه بل إنه كان يحث دابته تجاه العدو وهو ينادى المسلمين ويقول: أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب، ونادى العباس عمه بصوته الجهير يدعو المسلمين إلى العودة للقتال وعاد المسلمون واشتبكوا فى قتال مرير مع العدو وكتب الله لهم النصر والغنائم التى لم يغنموا مثلها من قبل. لقد كان الذين ثبتوا حول الرسول حين تقهقر المسلمون أحد عشر رجلاً كل منهم يعدل أمةً فى ثباته وقوة إيمانه منهم أبو بكر وعمر والعباس عم النبى وعلى بن أبى طالب وأسامة بن زيد، وهكذا عند الشدائد تظهر معادن الرجال.

شبـاب الإسـلام

لقد ربى الإسلام شبابه على الإيمان بالله وقوة العزيمة والصبر والشجاعة وغرس فيهم من الفضائل ما جعلهم مفخرة لكل جيل ومثلاً أعلى لمن يريدون العزة فى أوطانهم والسيادة بين أمم الأرض، وكان الرسول ﷺ يتعهد هذا الشباب بالتربية الإسلامية والنصح والتوجيه ويغرس فى نفسه حب عقيدته ودينه ونبيه حتى كانت منهم البطولات النادرة والمواقف الشجاعة الحاسمة وظهر منهم على بن أبى طالب أول صبى دخل الإسلام وتربى فى أحضانه وكان مضرب المثل فى الشجاعة والبطولة فى ميادين القتال التى كان حريصًا على ألا يتخلف عن أحدها ومن هؤلاء الشباب الذين يفخر بهم تاريخ الإسلام والمسلمين أسامة بن زيد حبيب رسول الله ﷺ وابن حبيبه، فقد ظهرت بطولته وشجاعته وعزيمته مبكرة وهو فى سن السادسة عشرة من عمره حين تلفت الرسول حوله فى معركة حنين وقت أن فوجىء المسلمون بنبال العدو وتقهقروا فوجد أحد عشر مقاتلاً شجاعًا يحيطون به منهم أسامة بن زيد وهو فى هذه السن التى يلهو فى مثلها أقرانه فهش له الرسول وعرف لهذا الشاب قوة إيمانه وشجاعته النادرة وحبه للرسول الذى أسبغ عليه من حبه وحنانه وتوجيهه ما جعله أهلاً لهذا الموقف الشجاع وهذا الثبات الرائع أمام أشباح الموت فى الوقت الذى أدبر فيه بعض الأبطال الصناديد من المسلمين وقد أذهلتهم المفاجاة التى لم يكونوا يتوقعون حدوثها.

عرف البنى ﷺ وبعض صحبه أن أسامة عنده من قوة الإيمان وثبات القلب والشجاعة النادرة ما يؤهله لأن يكون يوماً من الأيام قائداً لجيش من جيوش المسلمين لأنه يملك كل طاقات القائد الشجاع ومواهبه ويستطيع فى اللحظات الحاسمة أن يظل ثابت الجنان قوى البأس سريع البديهة لا يضعف ولا يلين.

وقرر النبى ﷺ بعد عودته إلى المدينة أن يولى أسامة بن زيد قيادة جيش يغزو به بلاد الروم وعمر هذا الشاب لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره وتحت إمرته صناديد أبطال المسلمين وكبار المهاجرين والأنصار ولعله قد حدث فى نفوسهم شيء من تولية هذا الشاب قائداً عليهم وأحس الرسول بذلك فخرج إلى الناس وهو مريض وخطب فيهم قائلاً: أيها الناس: أنفذوا بعث أسامة فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبل وإنه لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقاً لها» ولحق الرسول بالرفيق الأعلى وأنفذ أبو بكر جيش أسامة الذى ذهب إلى بلاد الروم وعاد ظافراً منتصراً مؤيداً بتوفيق الله ونصره.

فرعون قريش يقتله غلامان

لما اشتدت المعركة فى غزوة بدر وظهرت الغلبة للمسلمين وتصدعت صفوف المشركين وبدأ بعضهم يتقهقر وبعضهم يفر من المعركة جعل أبو جهل يشجع جيشه ويناديهم فى شراسة ومكابرة لا يهولنكم قتل عتبة وشيبة والوليد فإنهم قد عجلوا. فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرنهم بالحبال، وكان هذا الطاغية الأكبر لا يدرى أن الله قد كتب النصر لأوليائه وكتب الذل والهزيمة لأعدائه، فسرعان ما تبدت له الحقيقة وأخذت الصفوف المشركة تتصدع أمام هجوم المسلمين، والتفت عصابة من المشركين حول أبى جهل ضربت حوله سياجا من السيوف وغابات من الرماح لحمايته حتى لا يخلص أحد إليه ولكن عاصفة هجوم المسلمين بددت هذا السياج واقتلعت هذه الغابات وانكشف موقع هذا الطاغية وظهر أمام المسلمين يجول بفرسه.

وكان الموت ينتظره على يد غلامين حديثى السن من فتيان المسلمين الذين شاركوا فى المعركة، قال عبدالرحمن بن عوف: إننى لفى الصف يوم بدر التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن فقال أحدهما لى سرا عن صاحبه: يا عم. أرنى أبا جهل فقلت يا ابن أخى فما تصنع به؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، قال: والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك ثم غمزنى الآخر فقال لى مثلها. فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يجول فى الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألانى عنه قال: فابتدراه

بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته قال: هل مسحتما سيفيكما؟ فقالا: لا فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال: كلاكما قتله، والفتيان هما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء ولما انتهت المعركة قال رسول الله ﷺ من ينظر ما صنع أبو جهل؟ فتفرق الناس فى طلبه، فوجده عبدالله بن مسعود رضى الله عنه وبه آخر رمق فى الحياة، فوضع رجله على عنقه وأخذ لحيته ليقطع رأسه: فقال أبو جهل: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رُوَيْعِي الغنم، وكان ابن مسعود من رعاة الغنم فى مكة.

ولما تأكد رسول الله ﷺ من قتل أبى جهل قال: الله الذى لا إله إلا هو. فرددها ثلاثا، ثم كبر الله وحمده وشكره على تأييده ونصره وقال لمن حوله: هذا فرعون هذه الأمة.

سـعـد بن المسـيب يـزوج ابنتــه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه... وبعد

فإن الله سبحانه وتعالى أراد لمجتمع المسلمين أن يكون مجتمعا نظيفا عفيفا طاهرا مطهرا من الفواحش والآثام التى تؤدى بالأمم إلى الهلاك وتنخر فى بنيان المجتمعات حتى تنهار على رؤوس الذين تشيع فيهم الفاحشة وتتوارى فى مجتمعهم المكارم والفضائل ومن أجل صيانة المجتمع الإسلامى من أسباب الضعف والتفكك يسر الله فى شرعه كل سبل الخير والبر والرشاد وأغلق كل وسائل الشر والغواية والفساد.

ولا تزال المجتمعات الإسلامية -بفضل الله- قوية فى بنيانها، عزيزة فى أوطانها، حميدة فى ترابط أفرادها وأسرها، ولا تزال لبناتها قوية متينة، فالأسرة فى مجتمع المسلمين تقوم على ما رسمه الله لها من نظام يضمن سعادة كل فرد فيها، ويشيع بين الزوجين وشائج الإحسان والمعروف والمودة والتراحم ويظلل الأبناء بعاطفة الأبوة والأمومة فينشأون فى بيئة آمنة مستقرة متراحمة، ولذلك كان الزواج فى الإسلام من آيات اله الدالة على فضله وبره بالعباد وفى ذلك يقول الله تعالى: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون».

ونظرا لما يحققه زواج الرجل بالمرأة من المنافع الدينية والدنيوية ومن تحقيق العفاف والطهر والتراحم والتعاون فى الحياة فقد أمر الله المؤمنين

بتيسير أسبابه للراغبين فيه وحث عباده على أن يعملوا على تزويج من لازوج له، وألا تقف النفقات الباهظة التى استحدثها الناس عائقا فى سبيل إعفاف الشبان والشابات، فقال تعالى : « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » .

وفى سبيل تكريم الإسلام للمرأة جعلها عند الزواج مرغوبة لا راغبة، فحافظ على حيائها وكرامتها، وأوجب على الرجل أن يدفع صداقها عند الاقتران بها فقال جل شأنه « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » وفى سبيل تيسير هذا الارتباط الكريم لم يحدد الإسلام مقدار المهر الذى يدفعه الرجل للمرأة، فكل حسب طاقته وقدرته المادية، والصداق جائز بكل ما يسمى مالا وإن قل، وقد قال الرسول ﷺ لمن أراد أن يتزوج وليس عنده مال يدفعه، قال له : « التمس ولو خاتما من حديد » . وقال ﷺ « أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « ألا لا تغلوا صداق النساء، فإنه لو كان مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها رسول الله ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ المرأة من نسائه، ولا أصدقت بنت من بناته أكثر من اثنتى عشرة أوقية . -والأوقية أربعون درهما-

وقد فهم الصحابة والتابعون ما قصده الإسلام من تيسير الزواج للراغبين فيه فلم يغالوا فى طلب المهور لبناتهم، وكانت الرغبة فى صيانة العرض وتحقيق العفة والطهارة أكبر همهم، حتى إن سعيد بن المسيب أحد

فقهاء المدينة السبعة الذين شهد الناس لهم بالعلم والورع والتقوى زوج ابنته من تلميذه عبدالله بن وداعة بدرهمين، وقال لو أصدقها سوطا لحلت له.

ولذلك كانت الحياة الاجتماعية نظيفة طاهرة لأن باب الزواج مفتوح على مصراعيه والاقتران الشرعى الصحيح ميسر لكل راغب من الشباب والرجال ولا تقف الأعراف والعادات التى ظهرت فى حياة المسلمين فيما بعد حائلا دون عفة الرجال والنساء وتحصين كل منهما، وما ظهر فى حياة المسلمين اليوم من زواج بغير ولى واقتران فى السر بين رجل وامرأة سببه المغالاة فى المهور والتشدد فى تأثيث بيت الزوجية وفداحة نفقات ليالى الزفاف وغيرها وهى عادات مستحدثة ضارة جلبت على المسلمين متاعب كثيرة فى علاقاتهم وتكوين أسرهم، وما ينقذهم من ذلك إلا العودة إلى سماحة الإسلام ويسره، وليكن لهم فى رسول الله وصحابته أسوة حسنة.

التكافل فريضة إسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . . وبعد

فإن الإسلام ربى اتباعه على التعاون والتكافل فيما بينهم، ففى مجتمع المسلمين لا يضيع عاجز ولا فقير، وفى أيام الجدب والنوازل يسارع القادرون على سدّ حاجة المحتاجين، فقد علّمهم الإسلام أن المال لله، وأن الله هو الذى منح العباد أسباب الرزق واعطاهم القدرة البدنية والذهنية على اكتساب أرزاقهم وابتغاء فضل الله، «هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور» . . «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله وأذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون» . والمسلم يؤمن أن الأموال مملوكة لله تعالى وأن الله قد استخلفه على ما فى يده، وأنه مطالب برعاية حق الله فى هذه الأموال، وقد فرض الله عليه حقا معلوما للفقراء والمساكين، وجعل هذا الحق ركنا من أركان الإسلام واجب الأداء لا يخضع للاختيار، ومن ترك أداءه لمستحقيه فقد هدم ركنا من أركان الإسلام، وعصى أوامر الله ورسوله، واستحق غضب الله وعقابه .

إن التكافل فريضة فى الإسلام وهو يتمثل فى الزكاة التى فرضها الله تعالى وقرنها بالصلاة فى آيات كثيرة من القرآن الكريم . الزكاة التى قال فيها رسول الله ﷺ «تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» وقد جعلها الله مطهرة للأموال ولأصحابها، مزيلة لحقد الفقراء، على الأغنياء محققه

للترابط والتآخى بين أفراد المجتمع الذى يحرص على أداء زكاة الأموال وإعطائها لمن هم فى حاجة إليها.

وفى المال حقوق أخرى غير الزكاة، ففيه مواجهة الظروف الطارئة، والكوارث والزلازل وما قد يحدث من جدب تقل بسببه الزروع والثمار ويكثر الفقراء والمحتاجون وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الأحوال وحث على معالجتها فقال: «إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة، حملوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم بالسوية، فهم منى وأنا منهم» رواه البخارى ومسلم.

أى ثناء أعظم وأكرم من أن يكون تكافلهم فيما بينهم مؤهلا لأن يكونوا من الرسول ويكون الرسول منهم عنوانا على الرضا التام بما يفعلون وقد علم الرسول أصحابه هذا الخلق الذى يدل على سماحة النفوس وسخائها فقال صلى الله عليه وسلم «من كان له ظهر فليعدبه على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» قال راوى الحديث: إن الرسول ذكر من صنوف المال ما ذكر حتى رأينا أنه ليس لأحدنا حق فى فضل، وقد اقتدى الصحابة برسول الله ﷺ فى هذا الخلق الحميد ورأوا فيه سلامة الأمة وقوة بنيانها فلما قل المطر وأجدبت الأرض فى عهد عمر بن الخطاب فى عام سمى عام المجاعة شارك عمر الناس فى قسوة معيشتهم وقال: «لولم أجد للناس ما يسعهم إلا أن أدخل على أهل كل بيت عدتهم فيقاسمونهم أنصاف بطونهم حتى يأتى الله بالحياة -أى المطر- فعلت فإنهم لا يهلكون على أنصاف بطونهم» أنه حل اقتصادى لأزمة طاحنة يعتمد على سخاء المؤمنين وتكافلهم فيما بينهم.

الإســلام دين الرحــمــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فمنذ أقل من قرن من الزمان ظهرت فى بلاد الغرب جماعات تسمى نفسها « جماعة الرفق بالحيوان » ومن أهداف هذه الجماعة أن تحافظ على الحيوان وتحميه من التعذيب والتجويع وتحميله مالا يطيق من الأحمال وهو عمل إنسانى ينبعث من منطلق الرحمة والعطف على الحيوان الذى لا يستطيع أن يشكو الظلم أو يتمرد على ظالمه، ومع أن هذا من الأعمال الطيبة فقد تأخرت الحضارة الغربية كثيرا فى الالتفات إليه ومعرفة قيمته فى التعبير عن إنسانية الإنسان ورحمة قلبه التى تستوجب أن يكون رفيقا بكل كائن حى سواء أكان إنسانا أو حيوانا أو طيرا أو حشرة من الحشرات .

وقد سبق الإسلام فى هذاالجانب سبقا كبيرا فى الزمان وفى مدلولات هذه الرحمة والتأكيد عليها وجعلها عبادة يثيب الله فاعلها ويعاقب تاركها .

فمنذ ظهور الإسلام وتعاليمه على يد رسول الله ﷺ بوحى من السماء وهو يعلم المسلمين الرفق والرحمة من كل شىء ويقول لهم وللناس جميعا « ما وجد الرفق فى شىء إلا زانه وما نزع من شىء إلا شانه » ويقول « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » ويحدث المؤمنين عن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها حتى ماتت فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » .

إن هذه المرأة لم ينفعها شيء من عبادتها، من صلاتها وصيامها ودعواتها فحبطت كل أعمالها الطيبة بسبب هرة، هذه الحيوان الضعيف الذى قد يستهين به كثيرون ولا يلقون له بالا . ويحدثنا الرسول ﷺ كذلك عن رجل وجد كلبا يلهث من شدة العطش فنزل البئر وملأ خفه ماء وسقاه فشكر الله له فغفر له .

إن هذا الرجل غفر الله سيآته وعفا عنه جزاء ما فعله من رحمة هذا الكلب الظامىء الذى لا يجد ماء يشربه فشريعة الإسلام تجعل الرفق بالحيوان عبادة تكفر الذنوب كما تجعل إيذاء الحيوان ذنبا كبيرا يسوق إلى النار، وذلك منذ أربعة عشر قرنا من الزمان قبل أن يفطن أحد من البشر إلى هذا الواجب الإنسانى .

ولقد استجاب المسلمون لما أرشدهم الرسول إليه وكانوا أرفق عباد الله بالحيوان وبغيره حتى الحشرات التى يشملها حديث رسول الله ﷺ فى قوله «إن الله كتب الإحسان فى كل شيء فإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وإذا قتلتم فاحسنوا القتلة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»، حتى عند قتل الحشرات والهوام يطالب الإسلام اتباعه أن يحسنوا قتلها، فمن قتلها بضربة واحدة خير ممن قتلها بضربتين ومن قتلها بضربتين خير ممن ضربها بثلاثة وذلك لأن الرحمة لا تتجزأ ولا تفريق فى مواطن الرحمة بين الإنسان والحيوان والطير والحشرات .

أما أولئك الذين ينشئون جمعيات الرفق بالحيوان ويقتلون الإنسان غير المحارب ويبقرون بطون الحوامل ويغتصبون النساء ويقطعون أطراف الأطفال من غير ذنب أو جناية، وهؤلاء الذى يقيمون حفلات مصارعة النيران

ويهللون لرشقها بالرماح ويفرحون ينزيف الدم المتدفق منها، وهؤلاء الذين يقيمون مباراة المناطحة بين الكباش والمقاتلة بين الديوك، هؤلاء وهؤلاء يتناقضون مع أنفسهم ويقيمون الدليل على كذبهم فى أدعاء الرحمة بالحيوان وقلوبهم قاسية كالحجارة أو أشد قسوة.

الخـــاتمـــة

وبعد فهذه النماذج الطيبة رسمت فى حياة المسلمين صورة صادقة للخلق الكريم والمعاملة الحسنة وعلّمت الأجيال أن الإيمان بالله واستحضار عظمته وجلاله هو الأساس القوى الذى تنبنى عليه كل الفضائل والمكرمات ولقد كانت المواقف التى ذكرناها والتى نقدمها فى هذا الكتيب معبرة أصدق التعبير عن وجود القدوة الحسنة التى ينشدها أصحاب العقول الزكية والهمم الأبية، ولعلنا بهذا نكون قد أوقدنا شمعة مضيئة فى ظلام الأعراف الفاسدة والعادات الوافدة التى جعلت غربة المسلمين عن تعاليم دينهم أمرا ظاهرا تجب مقاومته على جميع الدعاة والهداة والمخلصين والله ولى المتقين.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ. د/ عبد الرحمن العدوى

دليل الموضوعات